المجلس الأعلى للثقافة

مذكرات
بديع خيرى
(١٨٩٣ - ١٩٦٦)

إعداد وتحقيق
إبراهيم حلمى



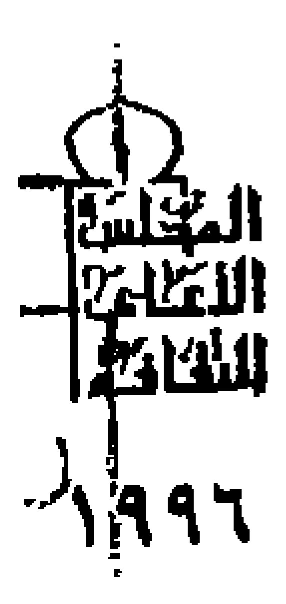
المجلس الأعلى للثقافة

مذكرات
بديع خيرى

إعداد وتحقيق :

إبراهيم حلمى

بمناسبة ندوة المجلس الأعلى للثقافة:
مرور ثلاثين عاما على رحيل بديع خيرى



١٩٩٦



بديع خيري قبل وفاته

● بديع خيرى

- اسمه بالكامل بديع عمر خيرى

- ولد فى ١٨/ ٨/ ١٨٩٣ وتوفى فى ١٩٦٦/٢/٣.

- درس فى مدرسة أم عباس الإبتدائية، ثم مدرسة الحلمية الثانوية، ثم مدرسة المعلمين العليا.

- بعد التخرج، عمل فى شركة تليفونات مصر، ولكنه رفت منها، فعمل مدرساً بمدرسة رفاعة الطهطاوى فى طهطا ثم فى مدرسة السلطان حسين بشبرا.

- أول لحن كتب كلماته هو لحن لمسرحية (ولو) من تلحين سيد درويش.

- أقام له على الكسار حفل تكريم فى يولية ١٩٢٧، وكان هذا بمثابة تقليد جميل يقوم به صاحب فرقة لمؤلفها. فقد كتب لفرقة الكسار أكثر من ٥٠ أوبريت.

- كتب حوار وسيناريو ٧٠ فيلماً، وترجع دقته فى التأليف والكتابة إلى حفظه للقرآن الكريم وهو طفل صغير.

- أول قصيدة كتبها كانت عن عقيدة الحزب الوطنى ونشرتها جريدة الأفكار الأسبوعية.

- أراد أن يمثل فى فرقة جورج أبيض، ولكنه فشل فى امتحان التمثيل أمام لجنة الاختبار.

- أول مونولوج باعه كان لفاطمة قدرى بخمسين قرشاً.

- أول مسرحية ألفها كانت لفرقة نادى التمثيل العصرى وهى «أما حتة ورطة».

- كان يؤلف المسرحيات فى البداية، ويعطيها لجورج شفتى الذى يعطيها بدوره للريحانى على أنها من تأليفه. ولكن الريحانى اكتشف الحقيقة، فكتب تعاقداً مع بديع خيرى فى يوم ١٨/٨/١٩١٨، وهو يوم عيد ميلاد بديع خيرى الخامس والعشرين الذى أصبح يوم ميلاده الفنى، فكتب للريحانى أول مسرحية وهى «على كيفك» ثم «كله من ده» ولكن بدون اسم مؤلف خشية نظرة المجتمع للمشخصاتية «وأيضاً خوفاً على الوظيفة، ولكن بعد ذلك استقال من الحكومة، ووضع اسمه لأول مرة على استعراض (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) للريحانى أيضاً.

- أشهر مؤلفاته الريحاني: (١٩١٨ - ١٩٢٠ - إش - رن - فشر - الليالي الملاح - الشاطر حسن - البرنسيس - أيام العز - الفلوس - مجلس الأنس - عباسية - أنا وأنت - حاجة حلوة - الدنيا ماشيه كده - المحفظة يا مدام - علشان بوسه - مصر باريز نيويورك - الشايب لما يدلع - الجنيه المصري - الدنيا على كف عفريت - قسمتي - حكم قراقوش - لو كنت ملك - كشكش في الجيش - جناين - نجمة الصبح - ليلة نغنغة - ياسمينة - الدلوعة - الدنيا جرى فيها إيه - جريدة الكابوس - استنى بختك - فرجت - ٢٤ قيراط - الحموات - ٣٠ يوم في السجن - حكاية كل يوم - إلا خمسة - يا ماكان في نفسي - مدرسة الدجالين - الستات ما يعرفوش يكدبوا - مين يعاند ست - حسن ومرقص وكوهين - كله من ده - كلام في سرك - على كيفك - الحكم بعد المداولة - ريا وسكينة - الخير على قدم الواردين - أنت وبختك - الحظوظ - مملكة الحب.

- أشهر مؤلفاته لعلى الكسار: الغول - الحساب - حلم وإلا علم - ابن الرجا - حكيم الزمان.



بديع خيرى فى شبابه

كلمة قبل المذاكرات

هذه المذكرات قطعة حية من تاريخ الفن المسرحي المصرى الحديث. يراها القارئ لأول مرة فى هذا الكتاب ويراها القارئ كاملة لأول مرة أيضاً، إذ أنها كانت قد نشرت فى لبنان ناقصة أربعة فصول كاملة هى الفصول التى يرون فيها بديع خيرى عن علاقته بلشيخ المقرئ محمد رفعت وعن «مباراة» الزجل بينه وبين بعض الزجالين اللبنانيين، وغيرها من المواقف المهمة فى سيرة بديع خيرى.

أقدمها للقارىء فى هذا الكتاب الذى ينشر فى مصر فى كتاب لأول مرة.

بديع خيرى إذا ما وُصِفَ فى كلمة، فهى كلمة «شجرة»..!

شجرة وارفة الظلال، عميقة الجذور فى التراب المصرى، تمتص من هذا التراب كل ما هو مصرى، وتمد من حولها ظلالا مصرية.

شجرة امتصت من الوطنية المصرية ما امتصت منذ بواكير عهدها، وهو ما سنلمحه واضحاً فى أوراق هذه المذكرات.

جذع هذه الشجرة قوامه الصلابة.. تماما كشجرة الجميز.. فى أعتى المحن تقف شامخة فى وجهها، فتعبرها دونما قلقلة، ودونما خلخلة، فإذا بالمحنة تمر وإذا بجذع الشجرة يبقى ولا ينحنى..!

وأوراق الشجرة ما زالت حتى الآن خضراء..

حقيقة كان الميلاد فى ١٨ أغسطس عام ١٨٩٣ . وكانت الوفاة منذ ثلاثين عاما فى يوم الخميس ٣ فبراير عام ١٩٦٦ .

لكن أوراق هذه الشجرة لم تتيبس، فما زالت خضراء ناضرة.

إنه فنان موهوب متعدد المواهب.. كاتب زجل .. كاتب مسرح.. ممثل.. ملحن.. مغنٍ .. إدارى.. لكن مشكلته الكبرى هى أنه عاش عصراً برز فيه نجيب الريحانى..!

لقد استحوذ الريحانى على كل الأضواء بحكم المهنة، فدائما ما يسبق الممثل إلى عالم الأضواء والشهرة وجنى الثمار صانعيه من الكتّاب والمخرجين، ولذا توارى قليلا نجم بديع خيرى خلف الريحانى، لكن هذه المذكرات ربما تجلو لمحبيه كم كان حجمه الحقيقى، وكم أعطى للفن فى المجالات التى استطاع أن يصل إليها فى عصره.

لن أتكلم أكثر من هذا عن أعمال «الشجرة» بديع خيرى، فالأشجار - حقيقة - تعيش وتموت واقفة ..!!

والأشجار بعد أن تموت تترك أوراقها، كما تركت هنا أوراقاً تشهد لنا فى صدق على عصر من الفن بديع ..!!

إبراهيم حلمى

يناير ١٩٩٦

مذكرات بديع خيرى

الفصل الأول

ابن المغربلين

أنا ابن شارع المغربلين، فى جوف القاهرة القديمة، وفى صميم حى الدرب الأحمر، وهو واحد من أعرق أحياء عاصمتنا شعبية.. ولدت منذ سبعين سنة يوم ١٨ أغسطس سنة ١٨٩٣ لأب كان يشتغل مديراً لحسابات دائرة الوالدة باشا أم الخديو عباس.. وأنا وحيد أمى، ولى أخوان غير شقيقين محمود ومصطفى، وقد توفى الأخير إلى رحمة الله.

وبدأت الدراسة بالكتّاب، ثم مدرسة أم عباس الإبتدائية، ثم الحلمية الثانوية، وأخيراً المعلمين العليا.

وكانت هوايتى منذ البداية أن أقرأ كل كتاب تصل إليه يدى، وكنت أقتطع من قوتى ومن ملبسى وأخصص مصروف يدى كله لشراء الكتب، وعلى الأخص كتب الشعر والزجل.. وقد اصطبغت شخصيتى

منذ نعومة أظفارى بالصبغة الشعبية، وكنت أقض وقت الفراغ كله ما بين مقاهى الجمّالية والبغّالة والإمام الشافعى استمع لغناء الربابة، وقص وإنشاد الشعر الشعبى، واستعرض فى نفس الوقت ما تزخر به هذه المقاهى من ألوان الناس وصور الحياة.. وكانت هذه المقاهى مدرستى الأولى الكبرى فى التأليف المسرحى.. حتى اللهجات المصرية ولهجات البلاد العربية المختلفة عرفتها، وحفظتها فى هذه المقاهى، اذ كان يتردد عليها أبناء تلك البلاد الشقيقة الذين يدرسون أو يتاجرون أو يسوحون فى القاهرة.

وأهلنى حفظى القرآن فى الكتّاب لإحسان الكتابة، كتابة الموضوعات الإنشائية، فى مرحلة التعليم الإبتدائى، بحيث سمّانى مدرس اللغة العربية «الأستاذ».. واستهوانى بريق اللقب، وأردت مع اندفاع الغرور أن أخرج به من صفحات الكراسات المدرسية إلى صفحات الجرائد، فنظمت وأنا مازلت فى الثالثة عشرة أول قصيدة شعر لى عن عقيدة الحزب الوطنى التى كنا نشتغل بها حماساً فى ذلك العهد، مطلعها:

خليلى ما أدعى النفوس إلى الردى

اذا لم يكن فيها الشعار محددا.

فقانيك آمالا فقانيك موطنا

فقانيك أحساب المروءة والندى.

ووقعتها «ابن النيل» وأرسلتها إلى جريدة الأفكار الأسبوعية التى كان يصدرها الأستاذ أبو العينين بدر.. وكانت أول فرحة فى العمر، فقد نشر الرجل القصيدة.. وأذكر إننى اشتريت ثلاثين نسخة من الجريدة يومئذ، وزعتها على الأهل والخلان.. وكررت النشر، باسمى الصريح هذه المرة.. وتابعت.. وتوسعت، فأرسلت إلى جريدة المؤيد قصيدة لمناسبة اختيار صاحبها الشيخ على يوسف أول رئيس لجمعية الهلال الأحمر بعد تكوينها، قلت فيها:

أكبر الجيش تحت ظل هلالك   نعما فيضها هنا وهنالك

يا رئيس الهلال حييت شيخا   ثاقب الفكر فى أبَرِّ المسالك

ومضيت فى محاولاتى الساذجة فى نظم الشعر.. وكان الشعر وقتئذ فى أوجه، عصر شوقى وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبرى وحفنى ناصف.. ولم أعد اقتصر على المناسبات العامة.. بل أصبحت انفعل حتى مع الأحداث الفردية.. مثلا حادث مشهور وقتئذ، شاب وشابة أحبا بعضهما، وعارض أهلهما فى زواجهما، فآثرا الانتحار، وانتحرا معاً متعانقين فى غرفة فى لوكاندة البرازيل، وثبت من تقرير الطبيب الشرعى أن الفتاة ماتت عذراء.. وتداول الناس هذه القصة مثلا جديداً للحب الطاهر الشريف، حب قيس لليلى وروميو لجوليت.

وانتشر اسمى فى جرائد أخرى، «مصر» و «الوطن» و «العلم».. وأذكر فى مناسبة عام هجرى جديد، أن نشرت جريدة «العلم» أنه جاءها، من الآتية أسماؤهم الأدباء فلان.. وفلان.. وطه حسين، وبديع خيرى

القصائد الآتية تحية للعام الجديد. وكان مطلع قصيدتى:

كن أنت بعد أخيك خير هلال وأنر لمصر طريق الاستقلال

رفتنى المدير الإنجليزى

تخرجت فى مدرسة المعلمين العليا، وأغرانى «مستر روبسون» مدرّس اللغة الإنجليزية فى المدرسة الثانوية بألا اشتغل مدرساً، وأنه سيتوسط لدى صديقه الإنجليزى مدير عام شركة تليفونات مصر، لأشتغل فيها مترجماً على أساس تفوقى فى اللغتين الإنجليزية والعربية. وكانت هذه الشركة فى ذلك الوقت شركة إنجليزية وموظفوها خليطاً من الفرنسيين والإيطاليين واليونانيين والإنجليز.

وعينت مترجماً فى الشركة، أنا وزميل اسمه راغب رزق. وكنا أول مصريين يعيّنان فيها. وكان عملنا الترجمة الملخّصة بالإنجليزية للرسائل العربية التى تتلقاها الشركة. وكان عملاً هيناً والمرتب مرتباً طيباً. ولم ألبث أن توثقت الصلة بينى وبين الموظفين الأجانب الزملاء، وعلى الأخص مع إيطالى خفيف الروح اسمه «لندلفو» كان يتناوب العمل مع زميل لى فى قسم الشكاوى يجلس الواحد منهما إلى سويتش رقم ١٦ ويتلقى شكاوى المشتركين من عطل أو خلل تليفوناتهم، ويثبتها باليوم والساعة والدقيقة فى هذا التوقيت..

وكان لندلفو ميالاً للتزويغ.. وكان فراغ عملي يسمح لي بأن أقبل رجاءه وأحل محله على «سويتش ١٦» كلما ألحّ عليه ميله هذا.. وذات مرة تلقيت شكوى من بيت واطسون باشا كبير ياوران الخديو عباس - خديو مصر وقتئذ.. وما أدراك ما وطسون باشا ونفوذ واطسون باشا أيامها.. وبروح شباب الحزب الوطني التقطت الفرصة، وأدرجت الشكوى في الدفتر، وتركتها تسير في مجرى الروتين المعتاد.

ومرت أيام، وتليفون الباشا الإنجليزي ما زال معطلاً.. وفجأة استدعاني مدير الشركة، وسألني في غضبة البركان:

– أنت يوم كذا الساعة كذا كنت على سويتش الشكاوى؟

– أيوه.

– تلقيت شكوى بعطل تليفون واطسون باشا؟

– أيوه.

– ولماذا لم ترسل فرقة التصليح في الحال إلى بيت الباشا؟

– لازم الشكوى تأخذ دورها حسب الروتين.

– هل تعرف من هو واطسون باشا؟

– عارف.

– هل تعرف أنه كبير ياوران الخديو؟

– عارف.

- إذن لماذ تصرفت هكذا؟

- تصرفت حسب الواجب.. وأنتم الإنجليز تفخرون بديمقراطيتكم، بأنه إذا ما مرَّ الملك أو الملكة فى الطريق فإنكم لا تعطلون المرور من اجلهما..

- أرجوك.. أنت غلطان.. ولازم يوقّع عليك جزاء.

- جزاء إيه؟

- أنت مرفود من الشركة.

وخرجت من شركة التليفونات غير آسف.. بل على العكس، خرجت منتشياً بلذة انتصار ابن الحزب الوطنى فى موقف وطنى.

وعدت إلى العمل الذى كان ينبغى أن أبدأ به.. التدريس.. أولاً فى مدرسة رفاعة باشا الطهطاوى فى طهطا، ثم مدرسة السلطان حسين فى شبرا.

الأستاذ.. وتوليع الجاز..!

بعد أن أستقر بى الحال فى وظيفة التدريس، انتابتنى هواية جديدة.. نظم الزجل.. بالرغم من أن العصر كان عصر الشعر، وبالرغم من نظرة الإزدراء والاستهانة التى كان الناس ينظرونها إلى الزجالين..!

وكان الزجل وقتها فى أدنى مستوى، خليطاً من اللون الأدبى اللغوى الذى لا معنى له، ولكنه يرص للمحافظة على الوزن.. وكانت كلمة «نانا» شائعة جداً فى الاستعمال، وكذلك كلمة «كذلك».. وكان الزجل يؤلف من ٤٠ أو ٥٠ بيتاً، كلها من بحر واحد ممل.. وكان يتزعم كتّاب الزجل أربعة: «شعبان عونى» و «عزت صقر» الذى كان يلقب بأمير الزجالين و «محمد عبدالنبى» ودكتور العيون «إبراهيم شدودى».. وأردت التجديد، فكتبت الزجل الواحد على أوزان مختلفة، وإذا بالزجّالين يثورون علىّ ويتهمونني بأننى «شاب عابث بالقيم الزجلية».!

وكان سوق الزجل رائجاً، بسبب بدء الشباب عقب الحرب الأولى بموجة إلقاء المنولوجات عن الحادثات التى كانت تتوالى فى محيط بلادنا.. مثل أزمة لحم الغنم والاضطرار لأكل لحم الخيل.. ومثل أزمة الكيروسين «الجاز» التى ذاع عنها منولوج مطلعه:

أمـــر الله يا أســـتاذ　　　موش ضرورى تولع جاز

وكان أشهر هؤلاء الشبأن الذين يلقون المنولوجات عبدالله شداد، وأحمد عسكر وتوفيق المردنلى، ومحمد عبد القدوس الذى اشتهر وقتئذ بمونولوج مطلعه:

حلوه حلوه خـــالص　　　دى العـــروســة

كـل مـن شـافـهـا　　　اشـتـاق لبـوسـة

وارتفع قـدر الزجل عندمـا دخل المنولوج المسـارح، يلقى بين الفصول، وأصبح له هدف ومرمى، وذاع زجل عن تعليم البنات، ألّفه الدكتور ابراهيم شدودى، وكان يلقى فى فرقة سلامة حجازى بين الفصول، يلقيه الشيخ سلامة حجازى بنفسه ومطلعه:

علّم بناتك يا بو البنات

ده الجهل يتلف أصحابه

والعلم أحسن من الجنيهات

عمره ما يغدر أربابه

واستطعت أن أشق لى طريقاً فى زحمة ميدان الزجل والمنولوج بخطى التجديد التى سرت بها منذ البداية..

وذات يوم قررت أن أكون ممثلا..!

الفصل الثانى

فشلت فى التمثيل
فأصبحت مؤلفاً..!!

قررت أن أكون ممثلاً..!

وذهبت إلى «محمد بك رفاعة» الذى كان يعرفنا معرفة عائلية، وقلت له:

– أنا جاى لك يا عمى علشان توصى صاحبك جورج أبيض

– على إيه؟

– يشغلنى عنده ممثل.

– ممثل !! أنت اتجننت يا بديع؟ أنت شاب من عائلة.

– وهم الممثلين موش من عائلات؟

– أنت عارف بيسموهم إيه.. بيسموهم بتوع عماد الدين، وما فيش عائلة ترضى تناسبهم.. جرى لك إيه يا بديع. أنت مثقف ومعاك شهادة عالية..!

- ماهو علشان كده عاوز أعمل ممثل، وحاكون ممثل مثقف .. أنا قريت مسرحيات إنجليزية كثير، واطلعت على مؤلفات كثير عن المسرح.. وطبعاً فيه فرق بين الممثل المثقف والممثل اللى مش مثقف.

ويذلت أقصى جهود الإقناع مع الرجل.. حكيت له بداية الهواية معى وأنا فى المدرسة، وكيف كنت مع مصروفى المحدود أتردد على مسرحى «دار السلام» و «الكلوب المصرى» فى سيدنا الحسين، وكان كلاهما فى لوكاندة شعبية، ويعرضان تمثيليات شعبية ساذجة ويتنافسان تنافس مسرحى الريحانى والكسار فى عماد الدين، وكان أجر الدخول خمسة قروش.. أما إذا تجمدت فى جيبى عشرة قروش بحالها فكنت أجد السبيل إلى مسارح عماد الدين، فى البلكون أو أعلا التياترو بطبيعة الحال.

وحكيت له كيف تطورت معى الهواية إلى اشتراك فريق من الأصدقاء الطلبة فى إنشاء جمعية للتمثيل سميناها «نادى التمثيل العصرى» نشبع فيها هوايتنا للتمثيل. واستطعنا أن نقدم حفلات تمثيلية على بعض المسارح بمعدل حفلة كل شهر أو شهر ونصف، نموّلها من مصروفنا المحدود، ونضمن لها روادها بدعوة مجانية للأهل والأصحاب و «أولاد الحتة».. ونضمن مع إقبالهم على حفلاتنا التصفيق والتهليل..!

ونجحنا فى تجربة، أول تجربة من نوعها حتى هذا الوقت.. تمثيل الرواية التى كانت مقررة على طلبة البكلوريا فى ذلك الوقت «هنرى

ايزموند».. وكانت ترجمتها للمرحوم محمد السباعى، والد الكاتب القصاص يوسف السباعى، وهو من الكتّاب الذين أثّروا فى شبابى، وعلى الأخص بكتابيه «وادى الهموم» و «السمر».. وقصدناه ليصرّح لنا بتمثيل ترجمته ونحن نخشى صداً وخيبة أمل، فإذا به يرحب بنا ويشجعنا.

وأخيراً، اقتنع محمد بك رفاعة، وأوصى بى جورج أبيض، فكلّف، أحد ممثلى فرقته الكبار المرحوم عمر وصفى بامتحانى، وأراد رحمة الله ألا ينفرد بالحكم علىّ وحده؛ فأشرك معه فى امتحانى عمر بك سرى ممول الفرقة، وكان ثرياً ويهوى التمثيل، ويمد يد المعونة المالية إلى فرقة جورج أبيض كلما تأزم مركزها المالى.. وتم الامتحان.. وأعلننى عضوا اللجنة بالنتيجة فى وجهى، وبكل صراحة، قال لى عمر وصفى:

– يا ابنى أنت ما تنفعش ممثل.. أنت لسه صغير..!

وأضاف عمر بك سرى:

– شوف لك شُغلة ثانية غير التمثيل..!

وساق لى القدر هذه «الشُغلة الثانية».. التأليف المسرحى.. «الشُغلة» التى كانت سبب تعرفى بنجيب الريحانى وارتباطى به مدى حياته، وارتباطى بذكراه مدى حياتى.

أما حتة ورطة..!

ليست الهزيمة مرّة الطعم إلا إذا ابتلعتها. وقد ترفق بى القدر قبل أن تستقر فى أعماقى الصدمة التى صدمتها بفشلى فى الالتحاق بفرقة جورج أبيض، وأنا من أشد الناس إيماناً بأن أكبر مفلس فى الحياة هو من يفقد حماسه، ولو فقد كل شئ ما عدا الحماس، فإنه يجتاز مؤكداً الخيبة إلى النجاح.

ولم أكن حتى هذا الوقت أفكر فى تأليف مسرحية.. لا شئ سوى المنولوجات للمناسبات، ألقيها أنا، أو يلقيها زملائى وأصدقائى، وأهديها إليهم بلا أجر أو عوض.. عدا منولوج واحد كان مصدر أول قرش دخل جيبى من الفن.. منولوج اشترته منى «فاطمة قدرى» وكانت منولوجست معروفة، شابة حلوة لا يتجاوز عمرها ١٨ سنة، وقد دفعت لى ٥٠ قرشاً «حتة واحدة» ثمن هذا المنولوج، الذى قدّر له الذيوع والانتشار، وكان مطلعه:

ليلة العيد كنت مخدر

فى ميدان عابدين ماشى اتمختر

ووقف هذا المنولوج على قدميه إلى جانب المنولوج التراجيدى «نابليون» الذى كان يلقيه الكاتب الممثل الهاوى «محمد تيمور» .. والمنولوج الفكاهى «هشتكوه» الذى كان يلقيه ممثل هاو آخر هو «يوسف وهبى». وكان الوقت عصر المنولوج الذهبى.

وفجأة وجدت نفسي مؤلفاً مسرحياً بحكم الضرورة.. عندما أعجز فرقتنا «فرقة نادى التمثيل العصرى» العثور على مسرحيات تمثلها.. ولعجزنا تماماً عن شراء أى مسرحية من مؤلفى ذلك العهد.. وكتبت أول مسرحية فى حياتى وسميتها «أما حتة ورطة!» ويريد السميع العليم أن تنجح، رغم أنها بداية وفيها ثغرات ومآخذ.. والأهم من هذا كله أنها كانت سبب تعرفى بنجيب الريحانى.

البحث عن مؤلف

كان نجيب الريحانى وقتئذ فى أوج عظمته. وكان يمثل مع فرقته على مسرح الإجبسيانا فى شارع عماد الدين، ومكانه الآن سينما ريجال، وقد بنى له هذا المسرح رجل يونانى اسمه «ديمو كانجلوس» وبنى له سكنا فوقة له باب من الشارع وباب آخر يؤدى إلى المسرح من الداخل.

وكان مؤلف الفرقة «أمين صدقى» يقدّم لها المسرحية، ويتقاضى أجرها دون مسؤولية عن نجاحها أو فشلها.. حتى مثلت الفرقة روايته «حمار وحلاوة»، وقدّر لها نجاح ضخم أغراه بأن يطلب الريحانى بتعديل طريقة تعامله معه، وقال له:

– من هنا ورايح النصف بالنصف.

– ما أقدرش، إنما مستعد أزود لك أجر الروايات زى ما أنت عايز.

وأصبح الريحانى فى مأزق، محتاج لمؤلف، ونجاح فرقته يلح عليه ليقدم جديداً.. وجرّب ثلاثة: حسنى رحمى المحامى وشعبان عونى

وأصبح الريحاني في مأزق، محتاج لمؤلف، ونجاح فرقته يلح عليه ليقدم جديداً.. وجرّب ثلاثة: حسنى رحمى المحامى وشعبان عونى والدكتور ابرهيم شدودى، فلم يوفقوا فى التعاون معه، وتأزم المأزق.

وكان الريحانى يعمل على مسرحه يومياً فى حفلات مسائية عدا الأحد والجمعة حين كان يمثل حفلتين نهاريتين فقط، والثلاثاء للسيدات. ولذلك كان نادينا يستأجر المسرح فى حفلة نهارية فى أيام حفلات الريحانى المسائية. ونحن نمثل مسرحيتى الأولى «أما حتة ورطة» دخل علينا فى الكواليس أحد أعضاء النادى «جورج شفتشى» وكانت مهمته أن يرتدى بذلة سوداء أنيقة، ويضع فى عروة سترته شارة حفلات، ويقف على باب الصالة يستقبل المدعوين، وقال فى انفعال وارتباك.

– عارف مين ح يتفرج علينا الليلة؟

– مين؟

– نجيب الريحانى.

– موش معقول. نجيب يتفرج على جماعة زينا..!

– أيوه. دخل وسلّم علىّ، وانتم عارفين إنه يعرفنى من يوم ما كان بيشتغل معايا هو وعزيز عيد فى البنك الزراعى، وطلب منى يتفرج على الرواية، فقعدته فى لوج.

– لازم عاوز يشجعنا كهواة.. وموش ح يقعد أكثر من ١٠ أو ١٥ دقيقة.

ولكن نجيب بقى ليلتها إلى آخر المسرحية.. وكان المتفرج الوحيد الذى صفّق لنا تقديراً لفننا، وليس مقابلا لدعوتنا المجانية شأن سواد متفرجينا..!

وتلقى «جورج شفتشي» تهنئة الريحانى بالنيابة عنا.

وجاءنى جورج فى نفس الليلة، وقال لى إن الريحانى بعد أن أبدى له إعجابه بالمسرحية سأله من هو مؤلفها، ولما كنت أخفى اسمى خشية أن أفقد وظيفتى الحكومية، قال جورج أنه هو المؤلف، وابدى الريحانى دهشته وقال له:

– غريبة.. أنا ما اعرفش عنك اتجاه فنى.

وكانت لغة جورج نفسها السورية اللهجة لا توحى بأن فى استطاعته أن يؤلف مسرحية بالعامية، ويصور جواً مصرياً شعبياً، وبلهجة لا تخلو من الشك، قال لجورج:

– طيب إيه رأيك تقدم لى رواية تجربة وإن عجبتنى أمثلها بس اتعب نفسك، وأنا ح أشجعك وأكافئك كويس. وعاوزك تعمل لى الأول لحن عن جماعة أعجام جايين يبيعوا سجاجيد لكشكش بك عمدة كفر البلاص.(١)

– حاضر.

وانتهى جورج شفتشي من حكايته، وسألنى:

– إيه رأيك؟

– فى إيه.

– أنت تكتب وأنا أبيع للريحانى.. ويابخت من نفّع واستنفع.. النصف بالنصف ياعم، واهم قرشين يجوا لك علاوة على ماهيتك كمدرس. وفى الوقت نفسه ما تضيعش وظيفتك.. اتفقنا؟

– اتفقنا.

وبدأت بلحن الأعجام، ومطلعه:

إحنا أفندم تجار أعجام

جينا من شأن بيعوا بضاعة تمام

وتلقاه الريحانى بإعجاب وتقدير.. ثم قدّمنا له ثلاث مسرحيات «على كيفك» و «كله من ده» و «استعراض ١٩١٨ - ١٩٢٠»، الاسم لجورج شفتشي والتأليف لى. ولم يكن أحد يعلم هذه الحقيقة سوى صديق لجورج اسمه توفيق ميخائيل، موظف بمصلحة الحدود، كان يرى جورج يتردد علّى كثيراً ونختلى طويلاً، ثم نخرج ونحمل الأوراق التى كتبتها، وتتبع توفيق الأمر حتى كشف سره. وحدث أن وقع سوء تفاهم وخلاف بين جورج وتوفيق، فذهب الأخير إلى الريحانى، وقال له:

– عاوز أجلى لك موقف أنت تجهله.. جورج شفتشي بيكتب لك مسرحيات فهل أنت راض عنها؟

– جداً وإلا ما مثلتها، ثم إن الجمهور راض عنها أيضا وإلا ما أقبل عليها.

- وهل تعرف عن جورج شفتشى الموهبة للتأليف؟

- فى الحقيقة أنا عرفته كزميل بس، ولغته موش مصرية.. وباشك إن فيه حاجة.

- أنا جاى أكشفلك الحاجة دى. فيه مؤلف تانى وراء الستار.. جدع مدرس على قد حاله اسمه بديع خيرى.

- كده.. أنا قلبى كان حاسس.. اعمل معروف هات لى بديع خيرى ده حالاً..!

الفصل الثالث

وجاء سيد درويش..
ومـــعـــه أمـــه..!!

جـاءنى توفـيق مـيـخـائيل، وقص على مـا دار بينه وبين نجـيب الريحانى، وطلب منى الذهاب لمقابلة نجيب، فقلت له:

– انك لم تكن فى حل من أن تفعل ما فعلت.

– كيف، مع شعورى بأنك مغبون؟

– السبب أصلا خلافك مع جورج شفتشى.

– ربما كان الدافع أيضاً الأخذ بالثأر.

– اننى راض بهذا الوضع، وعندى عملى الأصلى يغنينى.

– على أى حال، فقد كشفت السر، ولابد لك من الذهاب.

ولم يكن هناك بد من أن أذهب، مع هذا الحرج..

ويوم قررت أن أذهب استولى عليّ الارتباك.. وأخذت أتصور كيف ستكون هذه المقابلة.. طبعاً سأدخل على السكرتير أولاً، ثم يدخلنى السكرتير على نجيب الريحانى.. وعندئذ كيف أواجهه؟.. كيف أقف أنا الصغير البسيط أمام العملاق الكبير، وأنا خجول بطبيعتى.. وأعددت البدلة السوداء التى كنت أتحفظ عليها للمناسبات الكبرى والأعياد، وأرتديها.. واهتديت إلى حل جرئ لمداراة خجلى، قررت ولأول مرة فى حياتى وأنا ابن البيت المحافظ، وحى المغربلين المحافظ جداً أن أشرب كأساً يشد أوصالى.. وشربت كأس نبيذ..!

وذهبت إلى مسرح الاجبسيانا.. وإذا بى بمجرد أن اجتزت بابه الخلفى أرانى كما لو كنت فى سوق العصر.. وقوالح الذرة ومصاصة القصب تملأ الأرض.. وقادونى إلى غرفة نجيب، بلا سكرتير وبلا أبواب مقفلة.. ورأيت نفسى أمام نجيب والهرجلة، قفطان ملقى فى ناحية، وفردة مركوب فى ناحية أخرى.. واستقبلنى الفنان الكبير بترحاب، وقال لى:

– انا فهمت الحكاية، وكنت باشك من الأول، ولكن للأسف ما كنتش عارف أحل اللغز.. ولو ما كنتش أعرف جورج كنت أصدق، إنما أنا من البداية توقعت إن فيه خيال ظل وراه.

وأبدى إعجابه بقلمى.. واتفقنا.. وكتبنا العقد.. وكان هذا اليوم هو يوم مولدى الفنى ١٨ اغسطس سنة ١٩١٨.

ومن عجائب المصادفات أن يكون فى نفس اليوم الذى ولدت فيه فى الدنيا ١٨ اغسطس سنة ١٨٩٣..!

الفأل الحسن

قال لى نجيب فى نهاية هذا اللقاء الأول:

– لقد عرفتك على حقيقتك، وإننى لمطمئن الآن إلى أنك لن تكون فقط زميل العمل، بل وصديق العمر.

– هكذا من أول لقاء؟

– نعم .. إنك تستطيع أن تعرف إنسانا حق المعرفة بالإنصات إلى حديثه، وما أشبه إنصاتك إليه هذا بنزع اللفائف عن مومياء، فإن كل ما يقوله يعد كشفاً جزئياً عن شخصيته، وتستطيع أن ترفع طبقة بعد طبقة من الحديث، وتزداد اقتراباً من الحقيقة الباطنة، فإذا أنت أمام ملك أو عبد أو قرد مقدس.

واشترطت على نجيب مع بداية عملى معه ألا يعلن عنى وألا يكتب اسمى فى الإعلانات. فقد كانت النظرة إلى شارع عماد الدين أنه بؤرة فساد، وظهور اسمى فى هذا الشارع كان يتنافى مع عملى كمدرس. وعارض نجيب، ولكننى قلت له:

– لو أعلنت اسمى سأُفصل من عملى.

– أحسن .. لتتفرغ لنا.

– ولكننى فى حاجة إلى العيش، وأفضّل أن أبقى فى عملى الحكومى حتى يثبت قلمى كمؤلف.. لقد كنت مؤلفاً هاوياً، وكان الجمهور الذى يشجعنى جمهوراً يدعوه نادينا مجاناً، ويجاملنا مقابل

هذه الدعوة... وأنا الآن لا أضمن نفسى كمؤلف محترف، فلننتظر حتى إذا ما نجحت لى مسرحية أو مسرحيتان أتفرغ لك وأترك الوظيفة.

- كما تريد.

وقدمت لنجيب مسرحيتى الأولى «على كيفك»، ثم المسرحية الثانية «كله من ده»، التى كانت بطلتها المطربة فاطمة سرى، وكانت الروايتان من النوع الغنائى الاستعراضى الذى كان يقدّمه الريحانى فى ذلك العهد، ويمثل فيه شخصيته المشهورة «كشكش بك عمدة كفر البلاص». وكان الريحانى يستعين بالأرتيستات الأجنبيات اللواتى حجزتهن الحرب الكبرى الأولى عن العودة إلى بلادهن، وكن يتكلمن العربية برطانة أجنبية محببة إلى الجمهور، وكان من بينهن «لوسى دى فرناى» أصدق امرأة فى حبها لنجيب بين من أحببنه، وكان يتفاءل بها ويسميها «الفأل الحسن»، إذ عرفها وهو مفلس، وامتلأت جيوبه على أيامها معه.

ونجحت الروايات، وقال لى الريحانى:

- هيه؟

- ولا حاجة ح استقيل من بكره.

واستقلت من خدمة الحكومة، وانقطعت للتأليف المسرحى من يومها للآن، ٤٥ سنة طويلة حافلة.

وأعلن اسمى كمؤلف للرواية الثالثة «استعراض ١٩١٩ ـ ١٩٢٠»، الذى كان يعرض أحداث سنة ١٩١٩ البارزة، والأحداث المنتظرة فى سنة ١٩٢٠ على ضوء أحداث ١٩١٩.

وكان المتبع فى الألحان التى تتخلل الاستعراضات أن تقاس على القالب الموسيقى للحن شعبى شائع. مثلا على مقاس، أو على قد اللحن الشعبى الذى كان شائعاً فى ذلك الوقت «يا عزيز عينى أنا بدى أروح بلدى»، كنا نقدم لحناً مطلعه «ياسى كشكش إحنا محاميه، ما تلاقيش فينا واحد بنيه»، وبذا كان المتفرج يخرج حافظاً، وتنتشر ألحاننا فى كل مكان، وكنا نستعين بملحن اسمه «كميل شمبير» يصلح فى القدود نوعاً ما، ويضيف عليها شيئاً من الزخرفة.

وكنا مع ذلك نحس أنا والريحانى بنقص جوهرى يعتور أعمالنا.. اللحن الأصيل الذى تصنعه وقائع المسرحية، والذى يتطعم بلونها ويتمشى مع صياغتها وحبكتها.

ولكن من أين لنا بالملحن الخالق الذى يصنع لنا هذا اللحن الأصيل؟

وبحثنا.. ولم يطل بنا البحث.. ووجدناه.. سيد درويش..

من كوم الدكه
إلى حارة النصارى

كان العهد عهد المسرح الفكاهى الغنائى الاستعراضى، عهد مسرح الريحانى والكسار.. وكانت مسارح التراجيدى فى نكسة، مسرح جورج أبيض وعبدالرحمن رشدى.. وقال صديق لجورج، إذ رآه فى أقصى حالات اليأس:

- مافيش إلا إنك تقدم أوبريت يا جورج.

وكان هذا الصديق «عبدالحليم المصرى» المصارع المشهور الذى كانوا يسمونه «الأسد المصرى»، وكانوا يجلبون له منازلين من أبطال العالم فى الخارج لعدم وجود منافس له فى مصر. وكان فى الوقت ذاته يحب المسرح، ويقرأه باللغة الفرنسية التى كان ضليعاً فيها، وسأله جورج:

- ومين يعمل لنا الاوبريت دى؟

- أنا.

وغاب عنه أياماً، وعاد يحمل أوبريت «فيروز شاه».. وقدّمها هدية بلا مقابل لجورج.

وبحث جورج عن الملحن.. ملحن رخيص وكويس وابن ناس، وقال له:

- هناك شاب يغنى فى الأسكندرية؛ يغنى فى قهوة متواضعة فى كوم الدكة ينم عن موهبة، وأغانيه غير ما نسمعه، وياخد حاجة بسيطة.

وزأر جورج:

- هاتوه.

وجاء سيد درويش، ترك كوم الدكة، وجاءت معه والدته التى كانت لا تفارقه، وسكن سكناً متواضعاً فى حارة النصارى. ولحّن «فيروز شاه».. وكانت فتحاً فى التلحين العربى، وسجّلت نجاحاً وربحاً طيباً لجورج أبيض.

وذات ليلة دخل علينا أنا ونجيب صديقنا العزيز «حسين شفيق المصرى»، ونحن نعد بعض الألحان فى قوالب الألحان الشعبية الشائعة كالمعتاد وصاح فينا:

- إيه ده اللى بتعملوه ؟

- بنوضب الألحان.

- هى دى ألحان.. دى إفلاس وسرقة.

- إزاى بقى؟

- أنا امبارح شفت «فيروز شاه» كأنى شربت ١٠٠ كأس ويسكى. روحوا شوفوها واعملوا حاجة زيها.

وذهبت فى الليلة التالية أشهد «فيروز شاه»، فإذا بها عمل غنائى مسرحى رائع، ولم أتمالك نفسى قبل أن انصرف من اقتحام باب الممثلين، وأوقفنى البواب، قال لى:

- ممنوع.

- أنا عاوز سيد درويش، قل له بديع خيرى.

وغمزته بقرشين. فقادنى إلى سيد درويش فى مقصورته، وكان مازال بملابس التمثيل.. ولم يكن له دور يمثله فى الرواية، وإنما كان يقف كفرد بسيط بين أفراد الكورس ليضبط الألحان.. واستقبلنى بالأحضان وكأننا أصدقاء قدماء جداً، وقال لى:

- لا تستعجب، فأنا أعرفك من كتابتك.

- كتابة إيه؟

- الحاجات الحلوة اللى بتنشرها فى مجلة السيف والمسامير.

- يا سيدى العفو.

- إحنا متصلين بالروح والقلب.. عارف الكلام اللى قلته عن السودان «دنجى دنجى» لما قريته فى المجلة، لقيته ما فيش أحسن من كده لتقوية الشعور السياسى المعبأ دلوقت لمشكلة السودان، رحت ملحَّنه على طول وبأغنيه فى القهوة فى كوم الدكة.

- كده.

- أمال.. انا لازم أسمَّعه لك الليلة؟ ما تعرفش حد عنده بيانو وبيضرب عليه كويس؟

وفكرت، وافتكرت:

- فيه.. إحسان كامل الممثلة عندنا فى الفرقة.. عندها بيانو فى بيتها فى الزيتون.

- عال.. استنى لما اقلع هدوم التمثيل ويالله بنا علىّ بيت إحسان..

وخلع ملابس التمثيل بسرعة، وأمسك بيدى، وخرج بى إلى الشارع، إلى أول عربة حنطور.

الفصل الرابع

سرجوا الصندوج يامهمد..!

ذهبنا إلى بيت الممثلة إحسان كامل الأرمنية الأصل. فى الزيتون، وأسمعنى سيد درويش اللحن، غناه على عزف إحسان على البيانو: (٢)

جالت لى هالتى أم أحمد	***كلمايه فى متلايه***
سرجوا الصندوج يا مهمد	***لكن مفتاحه معايا***
بحر النيل راسه فى ناحيه	***رجليه فى الناحية التانى***
فوجانى يروحوا فى داهيه	***إذا كان سيبوا التحتانى***
يامصيبه وجانى من بدرى	***زى الساروخ فى ودانى***
مافيش حاجة اسمه مصرى	***ولا حاجة اسمه سودانى***
اتنين جيران بلا دنجى	***والهيطة جنب الهيطه***
الناس فى بلادى كلانجى	***عايزين خلينا شكنيطه***

وقُدِّر لهذا اللحن أن يذيع وينتشر. وكان سعد زغلول يطلب إنشاده في حفلات الوفد السياسية.

وافترقنا في تلك الليلة على أن نتقابل في اليوم التالي.

وذهبت إلى نجيب، وحكيت له كل ما جرى، فقال لي:

– احنا في مسيس الحاجة لموهبة زي سيد درويش. ياريت يشتغل معانا.

– على أي حال أنا ح اقابله بكره.

– كلّمه وشوف يقول إيه.

والتقيت بسيد درويش في موعدنا في اليوم التالي، وسألته:

– هل أنت مرتبط بجورج أبيض بعقد؟

– لأ.. بس رواية فيروز شاه جايبني علشانها، وبعدين ح يرجع للكلاسيك.

– فيه مانع تشتغل معانا أنا ونجيب الريحاني.

– ابداً.. ده أنا أتمنى. . واللون بتاعكم ده بتاعي، وخساره إنكم بتشتغلوا على قدود.

– طيب.. على خيرة الله.. بكره نجتمع احنا الثلاثة.

واجتمعنا.. واتفقنا..

وكانت بداية تعاون ثالوثنا مسرحية «ولو».. ثم مسرحيتى «اش» و «رن»..

وأصبحت لا أفترق عن سيد درويش، وتوطدت بيننا الألفة والصداقة بل الأخوة، ومن أجلى نقل سكنه إلى جانبى فى شبرا فى جزيرة بدران، وتوطدت صلة والدته بوالدتى وأصبح بيتانا بيتاً واحداً.. وكان يطب علىّ فى أى ساعة، وربما فى الفجر، ويوقظنى من النوم، ويقول لى:

ـ قوم نشتغل.

ويكون قد اختار قالباً للحن على أثر سماعه لنداء بائع سرّيح مثلا، فيطلب منى أن أصوغ الكلمات المناسبة، فقد سمع مرة على سبيل المثال بائع عجوة فى السبتية ينادى:

على مال مكّه

على مال جده

شغل المدينة

يا شغل الحجاز

وطار إلىّ.. ولم يتركنى حتى انتهينا من لحنه المشهور: مليحة جوى الجلل الجناوى.. على القالب الذى استوحاه من نداء بائع العجوة.

وكان فى بعض الأحيان يأتينى بكلام، أى كلام، نظمه من عنده حتى لا يضيع اللحن الذى هبط عليه، ويطلب منى وضع كلام منظوم غيره .. وأذكر عينة من كلام سيد درويش هذا:

يا أخينا ياللى ماشى تعالى هنا هو

تعالى لى لما أقول لك قرب جنبى هنا هو

أنا مالى ومالكم حد الله ما بينى وبينكم

يا هو

وكانت الحركة الوطنية وثورة سنة ١٩١٩، وكنا نساهم فيها بفننا، بتطعيم مسرحياتنا بالألحان الوطنية الهادفة كلحن:

قوم يا مصرى مصر دايماً بتناديك

خد بناصرى نصرى دين واجب عليك

عد لى مجدى قبل ما يروح من ايديك

واوعى سعدى يروح هدر قدام عنيك

وكان سيد درويش يفرغ فى هذه الألحان الوطنية إيمانه القوى المتدفق بوطنه. وكان توحيد الهلال والصليب منبعه مسرحنا «مسرح الريحانى»، فقد كانت التفرقة العنصرية على أشدها فى ذلك الوقت

ويذكى ضرامها سياسة الإنجليز المستعمرين، سياسة فرق تسد، ويتجاذبها مؤتمران «المؤتمر الإسلامى» فى الحلمية الجديدة برئاسة مصطفى رياض باشا و «المؤتمر القبطى» فى أسيوط برئاسة لويس اخنوخ فانوس.. وهددت هذه التفرقة الحركة الوطنية.. ورأينا أن ندعو لتآخى العنصرين بلحن قلنا فيه:

اوعى يمينك اوعى شمالك..	**.....................**
ان كنت صحيح بدك تخدم	**مصر ام الدنيا وتتقدم**
لا تقول نصرانى ولا مسلم	**الدين لله يا شيخ اتعلم**
اللى أوطانهم تجمعهم	**عمر الأديان ما تفرقهم**

وانتشر اللحن من المسرح إلى الشارع.. وخرجنا جميعاً أفراد لفرقة وسيد درويش ونجيب الريحانى وأنا فى عربات حنطور نحمل أعلاماً بعضها فيه الهلال، والبعض فيه الصليب، والبعض الآخر فيه الهلال وبداخله الصليب، وسرنا فى مظاهرة شعبية كبيرة ونحن ننشد اللحن، حتى وصلنا إلى مسجد ابن طولون، حيث التقى الشيخ «مصطفى الغاياتى» بالقمص «سرجيوس» وتعانقا.. وواصلنا المسير فى طريقنا إلى الأزهر، وعند تقاطع شارع الخليج بشارع الموسكى انكسرت العربة التى انت تحمل سيد درويش تحت ثقله إلى نصفين، ووقع سيد على الأرض وهو مازال ينشد لحنه وعلم التآخى فى يده.

سندوتش مسدسات..!

كنت عضواً فى جمعية سرية مهمتها طبع المنشورات الثورية وتوزيعها، وقد ألف هذه الجمعية شاب اسمه «سعيد العنانى»، كان كل ما فيه عجيب، مبسوط اليد، إن توفر المال فى يده نام فى شبرد وعاش كأمير حتى يفرغ جيبه، فيقترض جنيهاً، ومبدأه فى الحياة أن يتذوق كل ما تشتهيه نفسه طالما القرش فى جيبه قبل أن يفوت الأوان. وكنا نطبع المنشورات فى مكان لا يخطر للبوليس على بال، ولا يجرؤ على تفتيشه، فى عزبة الأمير «إسماعيل داود» فى محلة روح قرب المحلة الكبرى، ثم نوزعها سراً فى القاهرة. وكنا مسلحين، ومركز توزيع الأسلحة الخاص بنا عربة كفتجى سرِّيح اسمه «عفيفى» يقف فى ميدان باب الحديد. وكان يدس لنا المسدس فى سندوتش كفته. ولم نكن نخشى الأحكام العرفية المطبقة وقتئذ، والتى كانت تعاقب على حيازة السلاح بدون رخصة بالاعدام، لدرجة اننى كنت اتمرن على اطلاق النار علانية فوق سطح البيت الذى اسكنه فى شارع جامع خورشيد لصق الجامع.. حتى جاء يوم اقترب فيه رأسى من حبل المشنقة، اذ كان يسكن فى نفس الشارع انجليزى اسمه «مستر هاتون» موظف كبير فى ورش عنابر السكة الحديد، وكان يسكن فى بنسيون صاحبته ايطالية كنا نعرفها باسم «ام بول».. وحدث يوماً ان كان يسير فى الشارع وأمام باب بيتى بالضبط اصيب بطلق نارى ووقع على حائط البيت.. ولحسن الحظ ان كنت فى البيت ساعتها، وتوقعت بالطبع الاعتقال والتفتيش، فأخذت المسدس، وصعدت إلى السطح، وربطت المسدس بسلك طويل، وأسقطته فى ماسورة المجارى.

وحدث ما توقعت، وتم التفتيش، ولم يعثر البوليس بالطبع على شئ، وصعدت إلى السطح بعد أن أنصرفوا وأطمأننت إلى نفسى، لأسترد المسدس، فلم أجده .. كان قد انزلق وضاع فى المجارى، فانطلقت إلى عم عفيفى الكفتجى، وأخذت منه «سندوتش برونلج» جديد.

العشرة الطيبة

وألهم نجاح سيد درويش كملحن مسرحى نجيب الريحانى أن يقدّم أيضاً «الأوبرا كوميك» ذا الموضوع. وأراد ألا تكون التجربة بفرقته وعلى مسرحه «الإجبسيانا».. بل ألف فرقة جديدة تضم عدداً من ذوى الأصوات منهم «نزلى زراحى»، و«زكى مراد» والد «ليلى مراد» وكان مطرباً مشهوراً، و«محمد صادق»، وهو مدرس إنجليزى اشتغل بالتمثيل، وكان يسمى «صادق المقرطم» لأن له إصبعين مبتورين، و«منسى فهمى»[٣] ، واستأجر مسرح كازينو دى بارى - مكان سينما ريتس - الذى كان يعرض برامج استعراضية أجنبية، وكان لصاحبته «مارسيل لنجلزا» شهرة مدوية فى عالم أضواء القاهرة، وكان الملك «فؤاد» قبل أن يصبح ملكاً، وهو ما زال أميراً، يستدين منها، ودارت الأيام، وأصبح ملكاً وتذكر أنه ما زال مديناً بمبلغ كبير لمارسيل، وأن تحت يدها كمبيالة بهذا المبلغ، وحاول استرداد الكمبيالة منها مع مضاعفة المبلغ، ولكنها رفضت رفضاً باتاً ردها، وصارت تعرض الكمبيالة على كل من هب ودب وتفتخر بأن الملك مدين لها.

واختار نجيب مسرحية محمد تيمور «العشرة الطيبة» المقتبسة عن مسرحية «ذى اللحية الزرقاء» الفرنسية، وكلفنى بوضع كلمات الحانها، وتفرغ سيد درويش للتلحين، فأبدع وأجاد.. ثم اتفق نجيب مع عزيز عيد على إخراج المسرحية.

ونجحت العشرة الطيبة.. ولكن منافسى نجيب أساءهم أن يكون له مسرحى أن ناجحان، فصادوا فى الماء العكر وأشاعوا أن مسرحية العشرة الطيبة تبرز جبروت الأتراك وشراستهم فى معاملة الشعب المصرى، وأنها مملاه على نجيب مقابل مبلغ ضخم من الإنجليز، كى يظهر الفارق بين الاستعمار التركى والاستعمار الإنجليزى. ونجحت المؤامرة، وصدقها الناس، فانصرفوا عن المسرحية، وقفل المسرح. وكانت صدمة لثالوثنا.. فقد كنا نأمل فى خطوات أوسع فى المستقبل حتى نصل إلى «الأوبرا» الكاملة.(٤)

وعدنا إلى «الإجبسيانا» ومسرحياتها الاستعراضية.. فقدمنا «رن» و «فشر» و «قولو له».

صالحتهما الكناريا

وحدث يوماً ان راجع «نجيب» سيد درويش فى لحن أعده له، فقال يخاطبه:

– اللحن ده سريع يا شيخ سيد، واللزم فيه قليلة، ويقطع نفسى..إنت عارف إن انا صوتى أجش ونفسى قصير، وعاوز راحة فى الوسط.

- كلام إيه ده .. اللحن عظيم، وأنا عاوزه كده.

- بس أنا اللى ح أقوله.

- وأنا اللى عامله ومسؤول عنه.

- يعنى عامل القرآن الشريف.. ممكن تعدّله.

- مستحيل، أنا ما اقبلش أى تعديل فى شغلى.

- يعنى موزار ياخى..!

- كده.. كتر خيرك يا سى نجيب.. انا موش ح اشتغل

وكان سيد درويش عنيداً وصلب الرأى جداً، فانقطع عنا بالفعل ثلاثة ايام، وعبثا حاولت استرضاءه ومصالحته مع نجيب، حتى خطرت لى فكرة. كان لسيد صديق اسمه محمد شاهين متعهد يانصيب جمعية المواساة فى القاهرة، وكان من أشد المعجبين بسيد، وكان سيد لا يعصاه فى أمر لأن له أفضالاً يقدرها فقد كان يدبر له الغناء فى الحفلات والأفراح، وكان فى بعض الأحيان إذا ما دعاه قريب أو صديق لفرح يسأله:

- مسهرين مين؟

- فلان.

- لا .. أنا ما آجيش الا اذا جبتم سيد درويش.

واتفقت مع محمد شاهين على أن يبلغنى سراً بموعد زيارة سيد

درويش التالية له، وكان كثير التردد عليه، على أن أجئ أنا بنجيب فى هذا الموعد، كما لو كان مصادفه ويكون اللقاء بين سيد درويش ونجيب الريحانى، وتتصافى القلوب بتقابل الوجوه.

وقد كان.. تم اللقاء. وتقابلت الوجوه.. ولكن الحريقة زادت.. واشتد الخلاف، وبدأ الصلح خرافة يستحيل تحقيقها.

وفجأة والأصوات تعلو وتحتد وصل إلى آذاننا تغريد عصفور كنارياً كان يقتنيه محمد شاهين.. فنزل علينا كالدش البارد.. وهتف سيد بصاحب البيت:

– ادينى العود يا شاهين.. ح اسلطن النغمة دى بتاعة العصفور..!

وجاء شاهين بالعود، وانطلق بنا سيد درويش فى السماء.. ورقت الأحاسيس وصفت القلوب.. وما كاد سيد يترك العود حتى أقبل عليه نجيب.. وتعانقا، وتصالحا.. والفضل للعصفور..!

الفصل الخامس

تحت أقدام ست الحبايب

كان سيد درويش أبرّ انسان عرفته بأمه. وكان لا يقبض مالا إلا ويخصص منه هدية ثمينة لأمه، ولا يسلم عليها إلا وهو راكع على الأرض ويلثم يدها.

وأذكر مرة أننى أنا وسيد درويش قبضنا «قبضة» حلوة من شركة أسطوانات كالدرون أجر تعبئة بعض ألحاننا، وكان أجر الملحن ضعف أجر المؤلف، وقال لى سيد:

– يالله بنا على صيدناوى.

– نعمل إيه؟

ـ نشترى كاستورات لأمى.. الشتاء داخل.

وذهبنا إلى صيدناوى، ووقف سيد ينتقى القماش، وإذا بسيدة أنيقة جميلة تقف إلى جانبه تسأله:

– حضرت بتشترى قماش للمدام؟

– لا والله.. ده لأمى.

– تسمح لى أساعدك.. القماش ده حلو.. خذ اللون ده.

– كتر خيرك يا هانم.. ذوقك ممتاز.

– مرسيه.. خد كمان من القماش ده.

واستمع سيد إلى المستشارة الحسناء، وشكرها بحرارة، وانصرفت.. وذهب هو إلى الخزينة ليدفع ثمن الأقمشة التى اشتراها، ووضع يده فى جيبه واخرجها بيضاء من غير سوء.. ثم انفجر ضاحكاً وقال للصراف:

– انا نسيت المحفظة.. خلو الحاجة لحسابى لغاية ما أجيب الفلوس وأرجع.

وقال لى نحن خارجين من المحل:

– الست الحلوة لطشت المحفظة وهى بتنقى لى القماش.

– ودى حاجة تضحك؟

– أمال.. لأنها استغفلتنى بطريقة لطيفة.. حلال عليها أنا اعترف أنى مغفل..

وعدنا إلى بيوتنا، وسيد لا يكف عن الضحك الا ليعاوده.

وكان سيد درويش أكبر متلاف للمال، ولا يستريح حتى ينفض جيوبه من كل قرش وهو ما كاد يستقر فيها.

وكان صاحب قلب كبير نادر.. أذكر مرة أنه اصطحبنى إلى حى الجمالية فى منطقة اسمها الدرب الأصفر، وتوغل بى فى أزقة وحوارى حتى وصل بنا إلى نجار بسيط كان يعرفه من الأسكندرية ، واتضح أن الرجل يعد لزواج ابنته، وعلم سيد بالخبر منه، إذ لقيه مصادفه فى الطريق.. ولذلك جاء ليضطلع بإقامة الفرح من جيبه على احسن مستوى، السرداق والفراشين باقامة الفرح من جيبه على أحسن مستوى، السرداق والفراشين والطباخين وكل شئ، وغنى أيضاً بنفسه في سهرة هذا الفرح.. كل هذا فعله دون أن يدرى به إنسان سواى، وقالى لى:

- الواحد يعامل ربنا فى حاجة زى دى يديه أكثر.

وأذكر مرة ونحن نسير فى شارع عماد الدين اذ وقع بصرنا على حادث لترام المترو أصيب فيه غلام بائع شيكولاتة، وإذا بسيد يقع على الأرض مغمى عليه من تأثره بالمنظر.

علقة لبطل المصارعة..!

على قدر ما كان عليه سيد درويش من رقة الإحساس والمشاعر، بقدر ما كان عصبى المزاج ويثور بشدة لاتفة الأسباب. وكان قوى البنيان مفتول العضلات.. حدث مرة ونحن فى قهوة راديوم التى كانت أمام كازينو دى بارى أن وقع سوء تفاهم بينه وبين عبدالحليم المصرى بطل المصارعة، فتشابك معه وتغلب عليه، وتحدثت القاهرة كلها عن «علقة بطل المصارعة» .. ومرة أخرى ضرب الملحن ابراهيم

فوزى فى شارع عماد الدين، إذ علم أنه اخذ مقاطع من ألحانه وطعم الحاناً له ونسبها إلى نفسه.

وفى سنة ١٩٢٢ حصلت ضائقة لنجيب الريحانى وأقفل مسرحه، وأصبحنا أنا وسيد على الحديدة. وفكرنا فى أن نطرق باب الأسطوانات، وأعددنا بسرعة ثمانية ألحان، وكتبها سيد على «النوتة» وحملناها إلى «مشيان» الذى كان يمتلك محلا لبيع الأسطوانات فى شارع عبدالعزيز وفوق الدكان سكنه، وعلى السطوح أستديو التسجيل، وقلنا له ونحن نقدّم له القطع الثمانية:

– احنا انطلبت منا الحتت دى، إنما قبل ما نسلمها للناس اللى طلبوها قلنا نفوت عليك للمودة اللى بيننا وبينك ونأخذ رأيك فيها وإن كانت تعجبك نديها لك.

وأدرك الأرمنى الذكى حقيقة حالنا وكيف إننا محتاجون «واقعون».. وعرض علينا مبلغاً تافهاً وهو يقول لنا:

– أنا ح آخدهم علشان خاطر كم بس، وأركنهم لما احتاج لهم، لإن عندى حاجات كثير دلوقت.

وكان من رأيى القبول، ولو كان المبلغ الذى يعرضه ميشيان جنيها واحداً، مع إفلاسنا الكامل، ولكننى فوجئت بالشيخ سيد يمسك بالنوت الثمانية ويمزقها ارباً، ويلقى بها على الأرض أمام ميشيان، ثم يدير له ظهره ويخرج مسرعاً من المحل دون أن يحييه وأنا وراءه أقول له فى لوم:

- ليه بس عملت كده ياشيخ سيد، الجنيه بالنسبة لنا يساوى عشرين جنيه.

وكان جوابه بلهجة قاسية شديدة، وكأنه ينهرني:

- كرامتنا الفنية قبل كل شئ.. نأكلها بملح، أو حتى نجوع خالص، إنما ما نتنازلش عن الكرامة دى.

لحنت لزكريا أحمد..!

فى ذلك الوقت لم تكن امكانيات تعبئة الأسطوانات متوفرة لدى شركات الأسطوانات، فيما عدا ميشيان الذى كانت عنده إمكانيات ساذجة محدودة. ولذلك كانت الشركات الكبيرة الثلاث - كالدرون وبيضافون وأوديون - تعبئ أسطواناتها كلها دفعة واحدة مرة فى السنة، فتستدعى مهندساً فنياً من المانيا يتفرغ لكل شركة منها أسبوعين أو أكثر حتى يسجل لها المجموعة المتراكمة عندها من المقطوعات الغنائية والموسيقية، ويكون المغنون والموسيقيون بالطبع على أتم استعداد.

وكانت شركة بيضافون على وشك أن تبدأ دورتها فى التسجيل. وكان ينقصها ديالوج بين فاطمة قدرى المنولوجست التى كان لها اسم داو، وبين مطرب كان مشهوراً فى تلك الأيام اسمه «سيد بهنسى» فاستدعونى لأنظم هذا الديالوج على عجل، اذ لم يكن باقاياً على موعد التسجيل سوى ثلاثة ايام.

ونظمت ديالوج «شربات التوت» وهو حوار بين سيدة بنت بلد، وبائع توت مطلعه نداء البائع:

شربات التوت يا مين يقول لى

هات لى حبه أحلى

اكبش وادى له

وأملا له منديله

حلو قوى شربات التوت.

وكنت أعزف على العود «على قدى» فما أدرى بعد أن انتهيت من الديالوج الا وأنا أتناول العود، وأجلس أدندن عليه، حتى لحنت الديالوج لحنا الهامنيه شيطانى الفنى. وذهبت بكلمات الديالوج إلى بطرس بيضا صاحب شركة بيضافون، فأعجبه وقال لى:

- أديه لمين يلحنه.. أديه لفريد غصن؟

- كويس.

- بس الوقت ضيق خالص وموش ح يلحق.

- والله أنا اجتهدت وعملت له لحن.

- إزاى؟ هو انت بتلحن؟

وأسمعته اللحن، فأعجبه جداً، وقالى لى:

- أنا ح أنده لك فاطمة قدرى وسيد بهنسى تحفظهم اللحن حالا.

وقلت له كأى ملحن «كبير»:

- مافيش مانع.

وجاءت فاطمة قدرى، وجلست إلى جانبى أحفظّها اللحن على دندنة العود. وتصادف أن كانت منيرة المهدية، وهى فى أوجها وقتئذ، تجلس فى غرفة مجاورة تستعد أيضاً للتسجيل فوصل إليها صوتى، وسألت بطرس بيضا:

- مين ده؟

- بديع خيرى.

- والله صوته موش بطال.. واللحن كمان كان كويس.

- اللحن كمان بتاعه.

- ده ديالوج من نظمه برضه؟

- أيوه.

- اسمع يا بطرس.. انا عندى فكرة.. اللحن ده أملاه أنا.

- ده ح تملاه فاطمة قدرى.

- اسحبوه منها.

- وقصادها سيد بهنسى.

- ما ينفعش شوفوا حد غيره.. حاجة كبيرة.. هاتوا زكريا أحمد يملاه معايا.

ولم يكن هناك أى مخلوق يستطيع أن يعصى لمنيرة المهدية أمراً.. فجاء بطرس بيضا بزكريا أحمد، وجلس مع منيرة لكى أحفظهما لحنى، وسجلاه فى أسطوانة صادفت نجاحاً ورواجاً عظيمين.

وكانت هذه بداية معرفتى بمنيرة المهدية وزكريا أحمد.

وهكذا قُدر لى يوماً أن اكون ملحناً لشيخ الملحنين ولسلطانة الطرب..!

الفصل السادس

فاطمة.. وعزيز عيد وبديعة..!

عرفت فاطمة رشدى بين بنات الكورس فى فرقة نجيب الريحانى تتصدرهن هى وزينب صدقى، وكانتا بين الخامسة عشر.

تتصدران مجموعة من الفتيات وينشدن لحن «جامعات أعقاب السجائر» ومطلعه «أهل الأموال ليه دايماً سايقينها علينا»، الذى يدعو الأغنياء لبذل عاطفة البر للفقراء المشردين الذين لا ملجأ لهم.

أما عزيز عيد فقد عرفته عندما تعاقد معه الريحانى ليخرج العشرة الطيبة. وكان الريحانى يعرفه منذ كانا زميلين فى البنك الزراعى. واستقال عزيز ليشتغل مخرجاً لفرقة إسكندر فرح، ثم تعطل فترة، وكوّن بعدها فرقة تعمل فى مسرح الشانزلزيه بالفجالة - الذى كان أشبه بجراج منه بتياترو - واشتغل معه فى هذه الفرقة الريحانى وروز اليوسف، بالاسهم وكان السهم يدر ما بين قرشين ونصف و٢٠ قرشاً فى الليلة

حسب الرواج. وكان ربح عزيز ونجيب لا يدخل جيبهما، بل يذهب مباشرة إلى أقرب كبابجي.

وكان عزيز عيد واسع الاطلاع في الأدب المسرحي الفرنسي. وكان يؤمن أشد الإيمان بالمسرح، ويحترق ليخرج عملاً جيداً. وكان يعنى بالتفاصيل عناية دقيقة كانت موضع نقد أصحاب الفرق وسبب إحجامهم عن مواصلة التعامل معه.. فقاعة العرش في مسرحية كان يكفيها بحيث يبهر النظارة فيها شمعدان ضخم أو صندوق للعطايا مثلا. وقد فرش المسرح في مجنون ليلى برمال حقيقة ليعطى واقع الصحراء، كما بنى في سميراميس قلعة حقيقية من الطوب، وكان الممول يصرخ من إسرافه، وقد تفنن في مناظر وملابس العشرة الطيبة لدرجة أثقلت كاهل الريحاني لولا إيمانه بفكرته الجديدة وتفانيه في إبرازها للوجود بأليق مظهر. وشاع عن عزيز أنه «نحس» بحيث كان الناس يتباعدون عنه لوهم خاطئ.

وكانت أول مرة رأيت فيها عزيز عيد في حياتي في مسرحية معربة عن الفرنسية اسمها «الكابورال سيمون» على مسرح الكورسال. وأعجبت به، ومن شدة إعجابي هذا أرسلت إليه في اليوم التالي بالبريد بعنوانه على المسرح تمثيلية زجلية كنت قد ألفتها. ومعها خطاب لعزيز أقول له فيه إنني أقدم إليه تمثيليتي هدية بلا مقابل تعبيراً عن إعجابي به وتقديري له، وأقول له بالحرف الواحد «أنا ما أعرفكش ولا أنت تعرفني وموش عاوز حاجة إلا إن الرواية تحوز قبولك».

وذكرته بهذه الحكاية بعد أن جمع بيننا العمل، فقال لى إنه لم يتسلم تلك المسرحية، وإنها ولابد قد ضاعت.

وكان من أكبر المشجعين لى، وأذكر مرة فى أوائل اشتغاله مع نجيب الريحانى أن كان مجتمعاً معه فى بيت الاخير، وذهبت إلى نجيب أقدم له ختام ستار الفصل الأول من مسرحية «ولو» ومطلعه: يابو الكشاكش كان جرى لك إيه ياهتلرى.. فلما استمع إليه عزيز أبدى منتهى رضاه عنه وتنبأ لى بتفوق فى التأليف المسرحى، والتفت إلى نجيب وقال له:

- هذا الرجل سيكون ساعدك الأيمن طول عمرك.

وبعد أن انفصل عزيز عن نجيب كوّن لنفسه فرقة واتخذ لنفسه شخصية سماها «أبو درش» تمثل رجل الشارع، مقابل شخصية نجيب «كشكش بك» المشهورة، واستأجر مسرح نجيب القديم «الآبيه دى روز». وسار على نمط المسرحية المحلية التى تتعامل مع البيئة ومع عوائدنا. وكان من بين المسرحيات الناجحة التى قدمها «دخول الحمام مش زى خروجه» للمرحوم إبراهيم رمزى أحد أعمدة التأليف المسرحى المؤسسين، الذى الف عشرات المسرحيات.

وكان إبراهيم رمزى جريئاً حراً لا يهاب شيئاً أو إنساناً فيما ينقد، وينقد جهاراً نهاراً بصوته الضخم الجهورى الذى كان يمتاز به. واذكر انى دخلت عليه مرة فى قهوة اللبان بميدان العتبة حيث كنا نجلس، فوجدت بين يديه عدداً خاصاً من جريدة المقطم صدر فى مناسبة عيد ميلاد الملك فؤاد، وبمجرد أن رآنى صاح:

- تعال يا بديع شوف نفاق ودجل الجرائد.. عاملين عدد خاص قال إيه المناسبة عيد ميلاد ابن الـ... الملك.

وانطلق يسرْد أوصافاً ونعوتاً للملك تنطبق كلها وبكل شدة على وصف قانون العقوبات لجريمة العيب فى الذات الملكية، وعبثاً حاولت مع إبراهيم رمزى أن أغير موضوع الحديث خوفاً عليه، ولكنه لم يطاوعنى واستمر مندفعاً فى سرد الأوصاف والنعوت التى ينطلق بها لسانه، ولم أجد بداً فى النهاية من أن أسحبه سحباً إلى خارج المقهى.

وبعد ذلك ساق القدر فى طريق عزيز فتاة اسمها «زيزى عثمان» وصوّر له خياله - وما أعظم ما كان خياله - انه يستطيع أن يصنع منها فاطمة رشدى أخرى، ولكنها كانت خامة أقل مما تصور، ففشلت مع الفرقة التى الفها عزيز لتكون بريمادونتها، وعمل بها فترة على مسرح دار التمثيل العربى.

وقضى عزيز فترة فى بطالة، حتى تأليف الفرقة القومية وعُين مخرجاً بها، ولكنه لم يستمر فيها طويلاً، وعاد إلى البطالة حتى مات، وفقدنا فيه دعامة ضخمة من دعامات نهضتنا المسرحية الحديثة.

اكتشاف بديعة

بعد أن حل نجيب الريحانى الفرقة التى قدمت العشرة الطيبة تركت هذه الفرقة صدى سيئاً، كان من أثره أن لحق الكساد بمسرح الريحانى الأصلى «الاجبسيانا»، وفكرنا فى إسعافه.. قرر أن نقوم برحلة إلى

سوريا ولبنان.

واستُقبلنا استقبالاً طيباً فى سوريا. ولكن للأسف، كان قد سبقنا امين عطاالله بفرقته، وقدّم قبل مجيئا مسرحيات نجيب مع تغيير عطولتها من شخصية «كشكش بك» التى عرف بها نجيب إلى شخصية اسماها أمين عطاالله «كوكويك»، وظن أهل سوريا أننا نحن الناقلون المقلدون لأمين عطاالله، وكانت النتيجة كساد حفلاتنا.

وفى تلك الأثناء جاءنى يوماً «محمد عبدالغنى» أحد ممثلى الفرقة، وكنا ننزل فى فندق سنترال، وقالى لى:

– انا لقيت واحدة لها صوت كويس، وممكن إنها تفيدنا لو إننا أشركناها معانا، خصوصاً إن أهل سوريا ولبنان بيحبوا التمثيل المرح المدموج مع الطرب. تحب تشوفها وتسمعها.

فقلت له:

– مافيش مانع.

وذهبت وجاء ببديعة، وغنت لى أغنيات لبنانية على سبيل التجرية. واعجبنى غناؤها، وكشفت من جوهر صوتها إنها تصلح للأوبريت إذا ما فكرنا جدياً فى تقديمه. وحكيت الحكاية لنجيب وحبذت له ان نقدم الأوبريت بدل الفودفيل حين نعود إلى القاهارة. فوافق.

واتفقنا مع بديعة لتعمل معنا، وجاءت معنا إلى القاهرة بعد إنتهاء رحلتنا. وبدأنا نقدم الأوبريت، أولا مسرحية «الشاطر حسن» ثم «أيام العز» ثم «علمى علمك» ثم «دقة المعلم»... ونجح هذا النوع الجديد لحسن

حظنا. وكان مسرح الاجبسيانا الذى بدأنا من قبل نمثل فيه وشهد العصر الذهبى للريحانى أرض رمل بلا بلاط أو خشب، ومغطى سقفه بالخيام والكراسى قش.. شئ أشبه «بشادر» أو «صوان» مما تقام فيه الأفراح أو المآتم.. ثم غطاه صاحبه ديمو كانجوس وأصلح حاله، وسماه «مسرح برنتانيا» بعد أن هدم مسرح برنتانيا القديم (محل كبابجى ألفى بك الآن) الذى كان يعمل عليه سلامه حجازى.

قمر.. والبرازيل

تطورت علاقة الزمالة بين نجيب وبديعة إلى حب.

وحدث أن جاء إلى القاهرة وقتئذ مليونير لبنانى من المهجر فى البرازيل اسمه «إلياس قمر» وبمجرد أن شاهد أول مسرحية لنجيب دخل عليه فى الكواليس، وقال له:

– انت ارتيست عظيم جداً.

– أشكرك.

وعرّفه بنفسه، واقترح عليه أن يسافر بالفرقة إلى البرازيل، حيث توجد جالية لبنانية عربية كبيرة خصوصاً فى ساوباولو، وتعهد بالتكفل بنفقات السفر والإقامة، وما زال يغرى نجيب حتى وافق، وأعد الياس قمر العقد، وأخذ نجيب يستعد للرحلة. وصمم على أن أصحبه كما صاحبته فى الرحلة السابقة إلى سوريا ولبنان، إلا أن والدتى لسوء الحظ كانت قد أصيبت بمرض مفاجئ ألجانى إلى التخلف، لأن الرحلة كانت

طويلة، ولم يكن السفر بالطائرات قد عرف بعد، بل كان يتم بالبواخر، وتستغرق الرحلة بها إلى البرازيل حوالى شهر، قلت لنجيب:

- أمى أغلى وأقدس مافى حياتى، ولا أتصور أن يصيبها لا قدر الله مكروه وبينى وبينها رحلة شهر طويل.

ورضخ مرغماً.

وطلب نجيب من بديعة مصابنى أن تستعد للرحلة، وإذا بها تشترط:

- تزوجنى أولا قبل أن تسافر.

- وليه الاستعجال ده ؟

- لانك كنت سبباً فى فشل زواجى من أحمد مكرم.

- علشان باحبك.

- أليس الحب نهايته الزواج.

- ما اختلفناش، نتجوز لما نرجع.

- أبداً، الجواز قبل السفر، وإلا ما اسافرش.

وكان السيد أحمد مكرم، وهو من سلالة السيد عمر مكرم الكبير، من أسرة صوفية، قد أحب بديعة وأخذ يغدق عليها الهدايا الثمينة، ثم عرض عليها ان يتزوجها، ولكن حب نجيب لها اعترض هذا الزواج، وقطع صلة بديعة بأحمد مكرم.

واضطر نجيب أن يرضخ، فقد كانت بديعة البريمادونة ولابد من وجودها على رأس الفرقة فى الرحلة.

وبينما انا ذات صباح فى بيتى إذا برسول يستدعينى حالاً إلى منزل صديق نجيب الريحانى، وهو الدكتور خليل جودة فى شبرا، حيث ينتظرنى نجيب لأمر هام. ولم يخطر بذهنى أن هذا الأمر خارج عن نطاق العمل الذى يربط بيننا.

وذهبت إلى بيت الدكتور خليل جودة، وفوجئت برؤية بديعة ونجيب أمام قسيس، جاء ليعقد قرانهما، ومعهما الدكتور صاحب البيت وصديق آخر اسمه إميل عصاعيصو، وقال نجيب:

– كنت أتمنى لو كنت يا بديع أحد شاهدى عقد زواجى.

ولكن ما باليد حيلة لأن الدين يحول بينى وبين تحقيق هذه الأمنية.

وعُقد القران، وتحقيق شرط بديعة.

وسافرت الفرقة مع نجيب وبديعة إلى البرازيل.

وتركونى وحدى..!

الفصل السابع

الـــغـــنـــدورة

بعد أن سافر الريحانى اتصلت بى منيرة المهدية، وطلبت منى أن اؤلف لها مسرحية وقالت لى:

– أنا عاوزة ارجع للمسرح برواية لك.

وكانت فى ذلك الوقت تعانى كساداً فى الصالة التى كانت تديرها «صالة البيجو بالاس» بعد أن حلت فرقتها المسرحية. وهذه الصالة كانت فى شارع عماد الدين بجوار سينما ريتس الآن، وفاجأتنى منيرة:

– عاوزاك أنت اللى تؤلف لى الفرقة، وتختار الممثلين اللى ينفعوا، بس على الضيقْ.

ووافقت، لأشغل الفراغ الذى تركنى فيه نجيب، واستجابة للسيدة التى لها مكانتها فى دنيا الفن العربى. وألفت لها فرقة تضم بشارة واكيم وفؤاد

فهيم ومحمود مصطفى وتوفيق المردنلى وإحسان كامل وإسكندر كفورى ومارى كفورى.. وكلهم يتكلفون سبعة جنيهات ونصف فى الليلة، فقط لا غير. وكتبت لها «مسرحية الغندورة» التى اشتهرت بها منيرة، ودرّت عليها أرباحاً ضخمة، ثم كانت موضوع الفيلم السينمائى الوحيد الذى مثلته فى حياتها، وكانت تلبس فيها «بدلة رقص» مرصعة كلها بالجنيهات الذهبية الحقيقية، وتحفظها كل ليلة بعد انتهاء التمثيل فى خزانة حديدية خاصة بالبنك.

ومن العجيب إننى عندما قرأت هذه المسرحية لمنيرة المهدية أول مرة هزت رأسها وقالت لى:

– لا.

– لا إيه؟

– الرواية دى ما تنفعش.

– وحشة؟!

– لا.. موش وحشة. إنما ما فيهاش كورس كبير.

– الكورس يتكلف سبعين أو ثمانين جنيه، موش ممكن نجيبه دلوقت مع ضغط المصاريف، انا عامل لك أغانى مفردات والناس جاية تسمعك أنتى.

وقبلت فى النهاية بعد جهد بذلته فى إقناعها.

وبدأنا البروفات فى مسرح برنتانيا الذى خلا بسفر نجيب. وفى «البروفة الجنرال» السابقة لليلة التمثيل دعت منيرة بعض أخصائها ليدلوا

برأيهم فى المسرحية، ومن بينهم المرحوم محمود مراد المدرس فى المدرسة الخديوية، وكان من المشتغلين بالتمثيل وله محاولات فى الترجمة والتأليف، ومصطفى حفنى الذى أصبح صاحب مسرح برنتانيا.

وبعد «البروفة» نادتنى منيرة إلى غرفتها وأقفلت الباب علينا وفاجأتنى:

– يا خويا حاقول لك على حاجة، بس ما احبش تزعل منها.

– مافيش زعل إن شاء الله، خير؟

– ما عندكش رواية غير الغندورة؟

–لا. أنا زى الترزى افصل للفرقة اللى أتعاون معها رواية برواية. ومع ذلك السؤال ده عجيب. قصدك ايه؟

– ملتزعلش. الرواية مشخشخة شوية، وما يصحش بعد غياب أرجع للناس برواية زيها.

– والله ده اللى أقدر أعمله.

– معلهش.. علشان خاطرى، أعمل لنا رواية ثانية فى أسبوع.

– ونعمل إيه فى الإعلانات اللى بتقول الافتتاح بكره، والتذاكر اللى انباعت؟

– معلهش..أقول صوتى تعبان والافتتاح تأجل، وسبق عملت كده، لغاية ما تحضر لنا حاجة ثانى.

– موش ممكن.. حتى لو أقدر دى صدمة كبيرة لى.. شوفى حد غيرى يكتب لك مسرحية ثانية واعفينى أنا.

وناديت سكرتيرى «توفيق مليكة» وقلت له:

- ودينى على البيت.

ووصلت إلى بيتى محطماً ورأسى يلتهب بالحمى، وقررت أن أعتكف فى البيت واتوارى عن الناس بضعة ايام، حتى أشفى من صدمة منيرة لى، منساقة وراء محمود مراد ومصطفى حفنى المغرضين.

وفى صباح اليوم الثالث فوجئت بنقد بقلم فكرى أباظة فى جريدة الأهرام لرواية الغندورة كله ثناء علىّ تحت عنوان «ادميت أيدينا من التصفيق يا بديع». ثم توالت علىّ مكالمات التهنئة فى التليفون، وارتديت ملابسى وذهبت إلى منيرة، فلقيتنى وهى غارقة فى الخجل وقالت لى:

- أنا متأسفة خالص يا بديع. بعد أنت ما مشيت أدركت خطورة الموقف وقلت أقدّم الرواية كم يوم بالطول والا بالعرض وأجازف والسلام، وإذا بها تضرب بشكل عمرى ما شفته فى رواياتى.

وتصالحنا، وكتبت لها بعد الغندورة مسرحيتى «قمر الزمان» و «حورية هانم».

وبربرى مصر الوحيد

وفى نفس الوقت طلب إلى على الكسار أن أتعاون فى غياب نجيب. وكان مؤلف الكسار فى ذلك الوقت أمين صدقى، وكان فى نفس الفرقة الممثل الموهوب محمد بهجت يقدم شخصية اسمها «زقزوق بك» فى مسرحية، ويتناوب معه الكسار بتقديم شخصية «بربرى مصر الوحيد» فى مسرحية أخرى.

وكتبت للكسار مسرحية «الغول» وقدمتها إليه قائلا:

– أنا عاوزك تقدم المسرحية دى من غير اسمى علشان أمين صدقى ما يزعلش.

– إزاى؟

– خليها هدية منى.

ونزل الكسار على إرادتى، وبدأت البروفات، واذا بالممثلين يتبينون روح الكاتب الحقيقى من بين السطور. وغضب أمين صدقى، وظن اننى الذى فضحت الحقيقة، وسافر إلى الأسكندرية واعتكف فى فندق وادى النيل فى شارع البيرة بعد أن صاح فى وجه الفرقة كلها فى آخر بروفة شهدها لمسرحيتى:

– انا بصباع رجلى أعمل ١٠٠ رواية أحسن من دى وذهبت وراءه إلى الأسكندرية أصالحه وأقول له:

– برضه أنت أستاذ وأنا تلميذك.

وما زلت به حتى رضى، وعاد إلى القاهرة.

وكتبت للكسار بعد ذلك مسرحيات «الحساب» و«ملك الغابة» و «حلم ولا علم» و «الليالى الملاح».. وبعد أن قرأت المسرحية الأخيرة للكسار وأمين صدقى وأبديا أعجابهما الشديد بها، وأخذا يستعدان لإخراجها، عاد نجيب الريحانى فجأة من البرازيل، وقال لى:

- الحقنى يا بديع.. عايزين نفتح بسرعة، عندك روايات إيه؟

- ما عنديش.. آخر رواية اديتها للكسار إمبارح بس.

- كويس.. روح اسحبها منه.

الفصل الثامن

قتلتنا ريا و سكينة..!

ذهبت إلى على الكسار وأمين صدقى أرجوهما التخلى عن «الليالى الملاح» باسم ما بينى وبين الريحانى من علاقة ومديونيتى له بنجاحى وتوفيقى، وشرحت لهما الموقف،فإذا بهما يزدادان إصراراً وتشبثاً بالرواية، ولم أستغرب منهما هذا الرد على أساس المزاحمة والمنافسة. وعدت إلى نجيب بخفى حنين وقلت له:

– مافيش فايدة.

– مارضيوش.

– لا.

– موش مهم.. ح نطلعها برضه.. اقعد أكتبها لنا بشكل ثانى.

وسهرنا ليل نهار، واستطعنا أن نقدم الرواية بنفس الاسم «الليالى

الملاح، قبل أن يقدمها الكسار بأسبوع. ورغم إنه كان قد أعلن عنها. وتألقت بديعة مصابنى كل التألق فى هذه المسرحية التى قدمناها على نفس المسرح الذى كنا نعمل عليه قبل سفر نجيب «مسرح برنتانيا».

وشمرنا عن ساعد الجد، وقلنا إننا ما دمنا قد نجحنا فى تقديم عدة ألوان من ألوان المسرحيات فلنجرب «الدراما» وقدمنا «ريا وسكينة» وقصتهما مشهورة، ومثل عزيز عيد دور «حسب الله» فى هذه المسرحية، ورغم إعجاب الناس بها فلم يطل عرضها، وعدنا للون القديم، فقدمنا «الخير على قدوم الواردين»، ثم «٢٤ قيراط» ثم «انت وبختك».. وكانت البطولة لبديعة مع دويتو غنائى من فتحية احمد وسيد بهنسى وفى البداية صادفنا نجاحاً طيباً حتى جاء يوسف وهبى من إيطاليا، وألف فرقة رمسيس، وضم إليها كبار الممثلات والممثلين روز اليوسف وحسين رياض واحمد علام وعزيز عيد ومختار عثمان، وأخذ يقدم الروائع العالمية مترجمة ترجمة دقيقة على مسرح كامل الإعداد. ولوجه الحق والتاريخ كان مسرح رمسيس المسرح الكامل الأول فى تاريخ النهضة المسرحية فى مصر.

وكان الإقبال الشديد على مسرح رمسيس سبباً فى هبوط الاقبال على المسارح الأخرى ومن بينها مسرح الريحانى، فمرت فترة كان الاقبال فيه على مسرحياتنا أقل من المعهود. وتراكمت بعض الديون على نجيب وعجز عن الوفاء بها لدرجة أن اوقع مصطفى حفنى صاحب المسرح الحجز على مناظر الفرقة وملابسها، وبلغ من عتوه ان رمى بالأشياء الخارجة عن الحجز على الرصيف. وانقطع نجيب عن العمل.

وعزّ على مارسيل لنجلو صاحبة مسرح كازينو دى بارى، الذى مكانة سينما ريتس الآن، وكانت تؤمن بفن وموهبة الريحانى، عزّ عليها أن يتعطل عن العمل ويتدهور حتى وصل إلى خلو جيب حتى من قرش تعريفة.. فأستأجرت مسرحاً صغيراً بجانب مسرح رمسيس واسمته «مسرح الريحانى» واتفقت مع نجيب أن يعيد تأليف الفرقة لتمثل فى هذا المسرح، على أن تتكفل هى بجميع نفقاتها وتعطيه هو وحده ثلاثة جنيهات فى الليلة، وقدّمنا على هذا المسرح الجديد جملة مسرحيات من بينها «الفلوس» و«الخطوط» و «مملكة العجائب» و «علشان بوسة».. ولهذه المسرحية الأخيرة حكاية، فعندما أردنا الإعلان عنها فى جريدة الأهرام، وكانت محافظة جداًّ فى ذلك الوقت على التزام اللغة العربية الفصحى، فلم تنشر الإعلان عن هذه المسرحية إلا بعد أن غيرت اسمها إلى الفصحى فأصبح «من اجل قبلة».. وما أعجبها من تسمية لرواية كوميدية شعبية.

وانتهى الموسم الشتوى بنجاح لا بأس به، وعرض عبد الخالق «باشا» مدكور الذى كان يمتلك مسرح الفانتازيو الصيفى فى الجزيرة على الريحانى أن يحيى موسماً صيفياً على هذا المسرح، فقبل، ولكن هذا الموسم لم يكن كما يرام، فقطعه الريحانى، وعاد إلى التعطل.

المحفظة يامدام..

وفكرنا فى أن نقدم لأول مرة «الكوميديا» الصحيحة الكاملة، فاقتبسنا عن مسرحية مارسيل بانيول العاليمة المشهورة «توباز» مسرحية أسميناها

الجنيه المصرى، وسرح بنا الخيال فظننا أنها ستلاقى نجاحاً ضخماً وتسجل مولد الكوميديا المصرية، واستأجرنا أكبر مسرح فى القاهرة فى ذلك الوقت «مسرح الكورسال» الذى أنفق عليه صاحبه دلبانى بسخاء، وكانت لا تعمل عليه الا أشهر الفرق العالمية، والذى تصادف خلوه وقتئذ.

واخترنا «كيكى» نجمة للفرقة، وكانت كيكى هذه ممثلة راقصة جميلة خفيفة وهوبة، من أصل يونانى، ومع ذلك لا تفترق عن بنت البلد القح. وليلة الافتتاح كانت كاملة العدد «الكومبليه» وباع الشباك بخمسمائة جنيه، رقم قياسى عظيم.. ولكن جاءت الليلة التالية على العكس.. انهيار.. اذا كانت الناس قد اعتادت أن ترى الريحانى فى شخصية كشكش بك فى روايات استعراضية مليئة بالغناء والرقص.. واستمر الانهيار حتى وصل بنا الحال إلى أن الشباك لم يكن يبيع بأكثر من خمسة أو ستة جنيهات، وتراكمت علينا الديون.. وسألت الريحانى.

– ح نعمل ايه؟

– ولا حاجة.

– ما فيش انقاذ.. أحسن تقفل.

– لا ما نقفلش.. نعمل مسرحية جديدة من بتوع زمان أى حاجة سخيفة، بس يكون فيه خيط يربطها..

–إنما..

– إنما إيه يا بديع.. أهى فلوكة تعدينا وخلاص..

وفى ثلاثة أيام كنا أعددنا المسرحيـة الجديدة.. كنا نسـهر ليل نهار، وكلما كـتـبنا فـصـلاً نرسل مع سكرتير الفرقـة إلى الداخليـة للتـصـريح بالتمـثيل.. وأسـمينا هذه المسرحـية «المحـفظة يا مدام» وأجرينا بـروفاتها خلال نفس الأيام الثلاثة فى هيستريا ونحن فى عز الغرق.. ثم قدمناها، وكان النجاح الساحق بقدرة قادر، حتى أقرب أصدقائنا الوجيه ابراهيم فهمى، الذى كان يجمعنا فى بيته الفخم، الذى كان يقتنى فيه أسداً يطعمه أمامنا بإلقامه الحمام فى فمه صاح فينا بعد أن رأى المسرحية الجديدة:

– أهى دى الروايات وإلا بلاش.. جـواهر.. مـوش السـخـف ده اللى سميتوه الجنيه المصرى..

وقال له نجيب:

– اقسم بالله انا وبديع مكسوفين إنها تنسب إلينا.

وعدينا بالفعل فى فلوكـة «المحـفظة يا مدام».. وسددنا الديون وتركنا مسرح الكورسال على الفور.

ومن سخريات القدر أن مسرحية الجنيه المصرى. عدنا إلى تقديمها فى السنة السابقة لوفاة الريحانى باسم «الدنيا ماشية كده» فإذا بها تسجل نجاحاً عظيماً باسمها الجديد، وعلّق نجيب على هذا النجاح بأنه يعده ثأراً من الجمهور الذى خذله فى نفس المسرحية وهى باسمها القديم.

وجاءتنا مفاجأة جديدة عظيمة.. أن يشترك الريحانى مع أم كلثوم فى مسرحية أؤلفـها لهما، ويمثلانهاعلى مسرح الأزبكية لحساب شركة ترقية التمثيل العربى.. وكان حدثاً فى تاريخ الفن العربى أن تمثل أم كلثوم على المسرح..

الفصل التاسع

أم كلثوم
توافق على تمثيل مسرحية مع الريحانى..!

قبل أن أمضى فى الحديث عن حكاية اشتراك أم كلثوم والريحانى فى مسرحية من تأليفى على مسرح الأزبكية لحساب شركة ترقية التمثيل العربى، لابد من أن أتحدث عن طلعت حرب منشئ بنك مصر، الذى كان يمتلك المسرح والشركة، وكانا من مشروعات طلعت حرب الناجحة، ومن دعامات النهضة الفنية العربية الأولى.

وهكذا عرفت طلعت حرب رجل الاقتصاد العبقرى، فى فترة غياب الريحانى فى البرازيل.

أعلنت وزارة الأشغال التى كان من المفارقات العجيبة رعايتها للفن لا لسبب إلا لأن دار الأوبرا كانت تتبعها فى ذلك الوقت.. أعلنت هذه الوزارة عن مسابقة لتأليف أحسن مسرحية بالعربية الفصحى فى

موضوع تاريخي يمت للشرق بصلة، أو في موضوع اجتماعي يمت للبيئة والعادات المصرية، وقلت لنفسي أن فكرة الجمهور عني أني مؤلف فكاهي للريحاني والكسار «من بتوع تعاليلي يابطة» بينما أنا مدرس ومثقف، وصممت على أن أدخل هذه المسابقة، وإن كنت متوقعا أن ترفض لجنة المسابقة مسرحيتي منذ البداية على أساس أني «راجل بتاع روايات مضحكة وأزجال».

وكتبت مسرحية تنطبق عليها شروط المسابقة باسم «فتح السودان» وقدمتها للجنة المسابقة التي كانت مؤلفة من الأدباء الكبار أمثال الشيخ عبد العزيز البشري وعباس العقاد وطه حسين وغيرهم. وكان المتقدمون بالمئات وعلى رأسهم أعلام التأليف المسرحي وقتئذ. وتشاء الظروف وتفوز مسرحيتي بالجائزة الأولى، مائتي جنيه. ثم تلقيت دعوة من طلعت حرب لمقابلته، فذهبت ورأيته جالسا مع صديقيه اللذين كانا يلازمانه الدكتور الاقتصادي سيد كامل وسيد البشلاوي زوج المطربة فاطمة سري. وهنأني طلعت حرب على فوزي بالجائزة، وقال لي:

- أنا عاوز روايتك لفرقة ترقية التمثيل العربي، وحاديك ٢٠٠ جنيه تانيين.. أيه رأيك؟

- أمرك.

- عادل.. بكره تروح لهاشم أفندي كاتب الفرقة تسلمه الرواية وتمضي العقد وتقبض الفلوس.. وبعد ما يقرأ زكي عكاشه الرواية تتقابلان وتتفاهمان على إخراجها.

وكان زكى عكاشه نجم الفرقة، وفى الوقت نفسه موضع رعاية وثقة طلعت حرب لا يرد له كلمة.

رواية هلس..!

سلمت الرواية، وأمضيت العقد، وقبضت المائتى جنيه ومر يومان، واتصل بى زكى عكاشه يرجونى مقابلته، فذهبت إليه وانا متوقع أن يلقانى مهنئا مرحبا، وسألته..

ـ هيه.. إيه رأيك فى الرواية؟

ـ رواية إيه.. إيه الهلس ده.. إيه الكلام الفارغ ده؟

ـ مافيهاش ألحان.. أغنى إيه؟

ـ دى مش بتاعة ألحان

ـ مايمكنش نعمل روايات مافيهاش ألحان.

ـ تبقى ماتنفعش وأرجوك ترجع الفلوس.

وتركته ثائراً غاضباً، وذهبت على الفور إلى طلعت حرب، وحكيت له ماجرى وأنا فى قمة ثورتى، فأخذ يهدئ فى، وفاجأنى:

ـ الروايةعظيمة خالص، أنا قريتها، وفيه شوية وقائع عاوزه تصحيح، تيجى تصلحها عندى فى مكتبى أنا حضرت لك المراجع، وعلشان خاطرى تطاوع زكى وتعمل له الألحان اللى عاوزها. زكى لما يمشى.. المراكب تمشى على طول.

ومازال بى حتى أقنعنى، وأخذنى معه إلى مكتبته العظيمة التى كانت تضم مئات المجلدات والمراجع الثمينة العالمية، والتى نسقها له الدكتور جريفينى العالم الإيطالى وأستاذ اللغات الشرقية السابق فى جامعة روما، وكان يشغل وقتئذ منصب أمين مكتبة قصر عابدين، ووجدت طلعت حرب قد أعدّ لى المراجع، وحدد الصفحات التى تضم الوقائع التى تلزمنى، وعجبت كيف يتسع وقت هذا الرجل الاقتصادى الكبير لمثل هذا العمل الصغير.

وصححت الوقائع حسب المراجع، وعدت إلى بيتى، وأضفت إلى الرواية شخصية ضابط مصرى يحب فتاة من السودان ويمر حبها فى صراع بين العاطفة والوطنية، ونظمت نشيداً وبعض الألحان، وذهبت بها إلى زكى، فقرأها، وهش وبش، وقام إلى يعانقنى ويهتف كما لو كان صغيراً:

ـ ياحلاوة .. ياحلاوة .. أهو كده الروايات والا بلاش حنبتدى البروفات من النهادره .. وحنهدى الألحان لكامل الخلعى.

وافترقنا حبايب، ولحسن الحظ فلم يكن فى استطاعتى رد المائتى جنيه .. إذ كانت قد ذهبت مع ريح إسرافى الفظيع. وسرنى أن يتولى كامل الخلعى التلحين، فقد كان قمة بين الملحنين فى ذلك الوقت، وكان معروفا بغرابة الأطوار، لدرجة أنه كان يخلط الفول المدمس بالترمس بالعسل فى صحن واحد، ولذلك لم أفاجأ عندما كنت فى طريقى إلى مسرح الأزبكية بعد بضعة أيام فوجدت كامل الخلعى جالسا على سور حديقة الأزبكية فى الشارع، ولما رآنى نادانى:

ـ تعال ياسى بديع .. شوف الناس المجانين اللى مايفهموش.

ـ مين دول؟

ـ زكى عكاشه موش عاجبه لحن النشيد اللى انت عامله للرواية.

وانطلق بلا سابق انذار وبأعلا صوته يغنى النشيد، واجتمع الناس حولنا، وعبثا حاولت تهدئة الخلعى، حتى انتهى من غناء النشيد كله، ثم أخذته من يده، ودخلنا المسرح على زكى عكاشة، وحبذت له اللحن حتى اقتنع به.

أزجال باللبنانى..!

توثقت حياتى بطلعت حرب؛ وواظبت على حضورى مجالسه التى كانت تضم صفوة من رجال الاقتصاد والأدب، وكان يفتقدنى إذا ماغبت عن هذه المجالس يوما. وحدث يوما أن دعا المطرب اللبنانى المشهور المرحوم عمر الزعنى صاحب أغنية «لو كنت حصان» المعروفة، وكان معجباً به، لزيارة القاهرة، ومعه على الحاج الذى كان من أعلام الزجل فى لبنان، وشحرور الوادى خال صباح، والثلاثة كانوا أصحاب باع فى الزجل اللبنانى، يتساجلون فيه فى جلسة حول ضوء الشموع الموضوعة فى فوهات زجاجات فارغة كما يفعل «الصهبجية» عندنا فى المقاهى البلدية وينطلقون فى إنشاد الزجل من البديهة ليظهروا ملكتهم وغريزتهم الزجلية.

وقرر طلعت حرب أن يقيم حفلة كبيرة فى مسرح الأزبكية يتساجل فيها الفنانون اللبنانيون الثلاثة بالزجل، واختاروني لمجالستهم ممثلا للزجل المصرى، فقلت له:

ـ ازاى بس. دول لبنانيين والزجل بتاعهم لبنانى، وأنا الزجل بتاعى مصرى وخيبقى نشاز فى أزجالهم.

ـ بالعكس.. لازم نورى لهم إننا لانقل عنهم فى هذا المجال.

ومازال بى حتى رضخت.. المهم أقيم الحفل للزجالين اللبنانيين الضيوف، واشتركت فى مساجلتهم، واعتمدت على هوس الفنان وجنون الغرور، وإذا بى وأنا الغريق الذى لايخاف البلل يأخذ الله بيدى، واندمج مع الأخوة اللبنانيين وكأنى واحد منهم، والتهبت أكف الحاضرين بالتصفيق لى.. وبينهم المعلم دبشة الجزار مشجع أم كلثوم العنيد، الذى أخذ يصبح :

ـ كده كده يابديع.. كمان

رجل متفرنج

كانت فكرة طلعت حرب فى البداية عن نجيب الريحانى أنه «فالصو» وتهويل، وإنه يأخذ أكثر من حقه. وقد كوّن هذه الفكرة عنه بعد أن رآه فى حفل أقامة الأمير محمد على لتكريم النحاس باشا فى قصر النيل، واشترك نجيب فى هذا الحفل بمشهد ثلاثى بينه وبين ميمى شكيب واستيفان روستى، ولم يكن نجيب راضيا عن هذا المشهد

واضطر اضطراراً لتقديمه، إذ لم يكن هناك مسرح بل مجرد «نصبه خشب» بلا مناظر ولا أى استعداد مسرحى، وكان طلعت حرب يظن أيضا أن نجيب أجنبى تفرنج فى مسرحياته. وطلعت حرب كان شديد التعصب لمصريته، وكان يلزم موظفيه بلبس الطربوش، ويلزم المسئولين على إقامة حفلات البنك وشركاته بأن يعد الطعام متعهد مصرى صميم. ولذلك بعد أن توثقت صلتى بطلعت حرب قال لى رأيه الصريح فى نجيب، وعتب على وأنا مصرى صمميم أن أخص هذا الرجل المتفرنج الأجنبى بجهودى الفنية، وأولى بهذه الجهود زكى عكاشه وفرقته فرقة ترقية التمثيل العربى، وأغضبه منى محاولتى إفهامه فارق السماء والأرض بين نجيب وزكى.

وظل طلعت حرب على رأيه هذا فى الريحانى، حتى قبل بعد جهد والحاح منى أن يشهد مسرحية حكم قراقوش على أساس أنها مسرحية ناجحة، وموضع حديث الناس كلهم، وبصرف النظر عن كون نجيب بطلها، وعززت دعوتى له بأنها أمنية عظيمة لى أن يشهد عملى الكوميدى على المسرح، واستجاب طلعت حرب، وشاهد المسرحية، وكان التحول الذى لم أكن انتظره، فقد خرج الرجل الكبير مندمجا جدا ومسرورا جدا.. ومن يومها لم يتخلف طلعت حرب عن مشاهدة الريحانى كل أسبوع فى الماتينيه. أما يوم الأحد أو يوم الجمعة حتى آخر أيام حياته وهو ضعيف يرهقه المشى.. وكنت انتظره على باب المسرح لأستقبله، واحاول أن أسنده بيدى فى مشيه، فيتخلص من يدى حتى لايظهر أمام الناس بمظهر الضعيف العاجز.. وكان يشاركه نفس

المواظبة فى نفس الموعد المرحوم توفيق نسيم (باشا) رئيس الوزراء.

أعود إلى حكاية اشتراك أم كلثوم والريحانى فى مسرحية من تأليفى.

جاءت فترة لاحظ أعضاء مجلس إدارة شركة ترقية التمثيل العربى، وكان من بينهم توفيق الحكيم وعبد الله فكرى أباظة هبوطا فى مستوى إيرادات الفرقة وانصراف الناس عنها، وأخذوا يفكرون فى طريقة لإحيائها واستعادة جمهورها، واقترح عبد الله فكرى أباظة مفاوضة أم كلثوم لتشترك فى أوبريت تعد خصيصها لها، وتمثلها للشركة على مسرح الأزبكية ليلتين فى الأسبوع، الجمعة والأحد.

ورغم أن أعضاء مجلس إدارة الشركة رأوا فى الاقتراح صعوبة إلا أنهم قتلوه، إذ كانوا يعلمون بأن عبد الله فكرى اباظة تربطه بأم كلثوم صداقة ومودة وأنه دائما فى مجالسها، وتستشيره فى كثير من أمورها الخاصة.

وذهب عبد الله إلى أم كلثوم، وعرض عليها الاقتراح، واقنعها به فقبلت.. ولكنها اشترطت أن أؤلف أنا لها الأوبريت.

الفصل العاشر

مقلب لأم كلثوم

شربه الريحانى..!!

استدعانى مجلس إدارة شركة ترقية التمثيل العربى، وشرحوا لى مشروع تقديم أوبريت لأم كلثوم، وكلفونى بكتابة الأوبريت، فقلت:

ـ هذا أمل عظيم، ولكن لابد من أخذ رأى أم كلثوم فى اختيارى لكتابة الأوبريت.

ـ هى التى اختارتك، واشترطت أن تكون أنت المؤلف.

ـ وهو كذلك.

ورأيت مع ذلك أن استوثق من أم كلثوم، وذهبت إليها ورويت لها ما حدث فأيدته، قلت:

ـ عال.. إنما هذه أول مرة تعتلين فيها خشبة المسرح كممثلة، وأحب أن أعرف طبيعة الدور الذى تودين تمثيله، ملكة، أو سيدة غنية،

أو بنت وزير، أو بنت فقيرة مظلومة وأنصفت، أو أى دور تختارينه، فأنا طباخ تكلفينى أعمل لك الطبخة اللى تحبيها، ليكون العمل الفنى الذى سنقدمه نابعاً من ضميرك وإرادتك.

وسرت أم كلثوم، وقالت لى:

- أحب أكون فى الأول بسيطة واتدرج حسب ماتشوف بحيث أعلا شوية بشوية.

- اتفقنا.. وعلى أى حال كل ما اخلص فصل ح اقرأه لك وتقولى لى ملاحظاتك.

وانصرفت أياما، انتهيت فيها من تأليف الفصل الأول من الأوبريت، وأعددت ملخصا لها كلها، وذهبت بها إلى أم كلثوم، وقرأتها لها، فأبدت رضاها وموافقتها، ثم سألتنى:

- تفتكر إنى ح اعرف أمثل الدور ده يا بديع؟

- إلا تعرفى، ده انتى ممثلة بالفطرة. أنا اشهد لك بانك أعظم ممثلة فى مصر، موش بس أعظم مطربة. حد ينسى تقليدك للشخصيات اللى بتتحفينا بها من وقت لآخر.

- طيب ودور البطولة الرجالى مين ح يمثله قدامى؟

- ده دور كوميدى لإن الأوبريت تستلزم دور من النوع ده. والحقيقة أنا ما رسمتوش لممثل معين، يعنى ممكن نختار له بعدين واحد زى بشارة واكيم مثلا.

- اسمح يا بديع، أنا ما اشتغلش إلا إذا كان نجيب الريحانى اللى يمثل الدور ده قدامى.

- إزاى الكلام ده.. نجيب صاحب فرقة وإزاى يسيب فرقته ويشتغل مع فرقة ثانية، وهم كمان مايقبلوش.

- اذا ماقبلوش موش ح اشتغل.

- وتضيعى اتفاق مربح زى ده؟

- موش مهم.

- ثم إيش عرفك أن نجيب يقبل؟

- أنا اعرف ازاى اقنعه. هو فين دلوقت؟

- يافى البيت يافى قهوة فينكس.

- طيب.. نطلبه حالا.

ووجدناه فى قهوة فينكس، وأمسكت أم كلثوم بسماعة التليفون وقالت للجرسون:

- قول للأستاذ نجيب أن فيه واحدة ست معجبة عاوزه تكلمه.

وما صدق نجيب أن على التليفون واحدة من بنات حواء، وما كان أضعفه مع حواء، وجاء يجرى إلى التليفون، مثلت عليه أم كلثوم دور المعجبة به ويفنه، الولهانة، واشبعته تنهيدات وزفرات وأذابته بسعير الأنوثة، وأطالت وقد استعذبت نجاحها فى استغفال ممثل كبير مثله.

وفى النهاية ناولتنى سماعة التليفون، وما أن سمع نجيب صوتى حتى فوجئ، وصاح مرتبكا:

- بديع.. إيش جابك على الخط؟

- ما أنا واقف جنب المعجبة الولهانة.. كده يا أستاذ يا ممثل ياعظيم تدخل عليك.

- يعنى ايه؟!

- ده مقلب من واحدة صاحبتك قوى.

- موش ممكن.. مين هى؟

- تفتكر مين؟

- مااعرفش.

- تصور انها أم كلثوم.

- مستحيل.

- والله هى.

وعادت أم كلثوم إلى سماعة التليفون، وهى تكركر بالضحك وقالت لنجيب:

- علشان ما تعملش قمع.. تعالى حالا، أنا عاوزة أقابلك فى مسألة مهمة.

وجاء نجيب على عجل، ولم أكن قد حكيت له بعد عن أوبريت أم كلثوم. وكان لقاؤه الحفى دائما مع أم كلثوم. وكان الاثنان يكن كل منهما للآخر أوفر تقدير لفنه وأبلغ احترام لشخصه، وكان يزيد من احترام أم كلثوم لنجيب أنه الوحيد بين معارفها الذى لا يتملقها ولا يقبل يدها، وحكت له حكاية الأوبريت، وقالت له:

ـ انا موش ح اشتغل الا معاك.. دى أول مرة أمثل فيها على المسرح، وروحى المعنوية ح تقوى لو كنت جنبك

ـ بس أنا عندى فرقة، ويمكن ما يقبلوش، انتى قلتى لهم؟

ـ لسه.. انما ح اشترط انك تكون معايا زى مااشترطت بديع.

ـ انتى عارفة رأيى فيك كممثلة علاوة على عظمتك كمطربة، وكونى امثل معاك شئ موش هين ويتكتب فى التاريخ، بس موش ممكن.

ـ ازاى؟

ـ كان ممكن لو كنا فى أول الموسم، أنما دلوقت فات شهرين من الموسم.

ـ ما اعرفش..إنماأأنا ح الغى الاتفاق إذا كنت موش ح تقبل.. ارجوك تفكر يانجيب..

وفكر نجيب.. فكر بسرعة.. وفى نفس الساعة، ثم هتف يقول لأم كلثوم فى عشمه المعتاد معها:

- اسمعى يابت انتى.. والله لأبوظ الموسم علشان خاطرك.. خلاص قبلت.. روحى قولى لهم.

وقامت إليه تعانقه، وتقبّله فرحة كأشد ما يكون الفرح، ثم سألته:

- إيه شروطك؟

- ولاشروط ولاقيد. . كفاية على أن أول وقوف أم كلثوم على المسرح كان جنبى.. دى فى تاريخى زى ماقلت لك، وأنا مستعد ادفع فلوس موش آخذ فلوس.. يعملوا زى ما يعملوا.

- موش تكتب عقد؟

- كلمتى شرف.. وعلى أى حال يعملوا العقد وأنا أمضيه عميانى.

وذهبت أم كلثوم إلى شركة ترقية التمثيل تزف اليهم النبأ، فاذا بهم يتلقونه بوجوم ويعترضون بقولهم:

- احنا بدنا بالمشروع نقوّى فرقة ترقية التمثيل، موش نخدم الريحانى وهو مشهور خلقه..!

وأصرت أم كلثوم، ولم يجدوا فى النهاية إلا أن يوافقوها.

وأتممت تأليف المسرحية، وجاء دور إخراجها، وقررت الشركة أن يخرجها مخرجها زكى طليمات، ولكن الريحانى اعترض، وأصر على أن يخرج هو الرواية، وثار زكى واعتبر اعتراض الريحانى ماساً لكرامته.. وعبثا حاولت الشركة اقناع أحدهما بالعدول عن إخراج الرواية. وكانت أم كلثوم فى صف الريحانى بالطبع، فانسحبت..

وعلى هذا، قبر المشروع ولم ير النور..!!

الفصل الحادى عشر

الممثلة جوزفين بيكر
تصفع الملك فاروق على قفاه. . . !!!

جاءت جوزفين بيكر إلى القاهرة كسائحة، وتولى مرافقتها المرحوم الفنان سليمان نجيب ليفرّجها على معالم بلادنا، ووضع سليمان فى حسابه أن يعرفها بكبار الفنانين عندنا من خلال مشاهدتها لأعمالهم الفنية، واصطحبها ليلة إلى مسرح الريحانى. وبعد أن شاهدت التمثيل أبدت رغبتها فى لقاء نجيب الريحانى والتعرف إليه، فدخل بها سليمان إلى غرفة نجيب فى المسرح، وتم اللقاء والتعارف، وكان نجيب يجيد اللغة الفرنسية، فضلا عن أنه محدّث لبق مع النساء، ولذلك ما لبث أن اجتذب جوزفين بيكر نجمة المسرح الاستعراضى العالمية الزنجية، وتوطدت الصداقة بينهما من أول جلسة. وطالت الجلسة زيادة عن ساعة، ثم استأذنت جوزفين لتعود إلى الفندق لتنام، وقال لها نجيب.

ـ أنا عاوز أعزمك على الغذاء أو العشاء بكره، تفضلى إيه؟

- العشاء بعد المسرح.. بس بشرط.

- إيه؟

- الأكل يكون مصرى، ومافيهش حاجة افرنجى أبداً.

- وهو كذلك.

وانصرفت جوزفين، والتفت إلىّ نجيب يسألنى:

- ح نوكلها أكل مصرى.. يعنى كباب مثلا؟

- لا. الكباب لازم أكلته مرة واثنين.

أمال ح نوكلها أيه؟

- طعمية وبصارة.

- ومين اللى يعمل لنا الطعمية والبصارة؟ نشتريها جاهزة؟

- لا.. ح نعملها.

عندكم فى بيتكم؟

- لا.. فى بيت حنا أفندى ناظر المحطة جارنا.. هم اللى دائماً يتحفونا بالطعمية والبصارة.

- عال.. اتولى انت الموضوع.

وتعشت معنا جوزفين فى اليوم التالى، وأكلت أصابعها وراء أقراص طعمية بيت حنا أفندى، وان كانت أغرقتها فى الشطة. ولما حان وقت سفرها، وعرضت عليها اختيار هدية أقدمها لها، قالت لى:

ـ ولا حاجة.. طعمية.

واعددت لها الطعمية، وأخذتها معها إلى باريس.

ودعوناها مرة أخرى للغذاء. وهذه المرة أصرت على أن تطهو هى الطعام بنفسها على الطريقة الفرنسية. ووقفت ساعات فى مطبخ نجيب تعد أصنافا والوانا من الطعام، وأكلنا صنع يديها، وكان عندنا عدد لا بأس به من المدعوين الآخرين، ولما شكرناها فى النهاية مثنين على حذقها الطهى ضحكت، وقالت لنا:

ـ إن طباختى كثيرة التغيب.. ولذلك اضطررت أن أتعلم لأكون بديلتها «دوبلير» وقت الطوارئ..!

وكانت جوزفين قد تعرفت فى باريس بهدى شعراوى، فلما جاءت إلى القاهرة فكرت هدى فى أقامة حفلة خيرية لأغراض الاتحاد النسائى تشترك فيها جوزفين، وخطر لها خاطر عجيب موفق، ان اكتب مسرحية صغيرة تشترك جوزفين فى تمثيلها مع نجيب الريحانى، على اعتبار إننا نقدم مسرحيات فرانكو آراب بالفعل فى مسرحنا. ووافق نجيب وأعددت المسرحية، وباعت هدى التذاكر بأسعار مرتفعة، ونجحت الحفلة جداً. وما كادت جوزفين تعود إلى باريس حتى كتبت لنا تشكرنا على «كل حاجة»، وعلى الأخص الطعمية والتمثيلية مع نجيب الريحانى.

وخلال زيارة جوزفين للقاهرة سهرت ليلة فى الأوبرج مع بعض سيدات ورجال الجالية الفرنسية بدعوة من سليمان نجيب، وتصادف أن

كان الملك فاروق هناك ليلتها، فلما رآها طمع فيها كعادته، فأرسل إليها كبير ياورانه الفريق عمر فتحى يدعوها إلى مائدته قائلا:

- جلالة الملك فاروق تلطف وأمر بدعوتك إلى مائدته الملكية.

وأشار إلى المائدة، وبكل عظمة الفنان الحق الواثق من نفسه أجابت جوزفين:

- متأسفة.

- كيف هذه دعوة ملك..!

- وأنا اعتذر.

- ولماذا؟

- لأن هؤلاء الناس الذين تراهم حولى قد دعونى إلى هذه المائدة ولا يليق بى، بل وليس من حقى أن أترك مائدتهم إلى مائدة أخرى.

- حتى لو كانت مائدة رئيس جمهورية فرنسا بلادى.

- ولكن جلالة الملك يريد تكريمك كفنانة تزور بلادنا؟

- أنا لا أزور بلادكم كفنانة، إن رحلتى ليست رحلة عمل بل سياحة.

- ولكن هل تقدرين خطورة رفض دعوة الملك؟

- أرجوك.. كفى.. أننى أعتذر، وليس عندى ما أقوله أكثر من هذا.

تكهرب الجو، واضطر الملك أن ينسحب والصفعة ترن على قفاه. ولكنه لم ييأس، وأخذ يبحث عن طريق للقاء جوزفين، حتى علم بحفلة

هدى شعراوى، وجاء إليها يرتدى ملابس ضابط بحرى، ووقف بين الكواليس أثناء تمثيل جوزفين دورها، فلما انتهت منه واتجهت لتعود إلى غرفتها تبعها، ورأته، فدخلت الغرفة بسرعة وصفقت الباب فى وجهه، ومع ذلك وقف يطرق الباب بكل صفاقة،حتى اضطرها إلى أن تصرخ، فخاف وهرب بذاته الملكية العلية من باب المسرح الخلفى.

المسرحية التى فزنا فيها بالغضب الملكى..!

ولمناسبة الحديث عن فاروق أذكر ليلة دعيت فيها فرقة الريحانى للإشتراك فى سهرة أقامها فاروق فى سراى عابدين احتفاء بعودة شقيقته فوزية لأول مرة من إيران بعد زواجها من الشاه. وطلب منا أن نختار فصلا من إحدى مسرحياتنا لنمثله على مسرح السراى، فأخذنا الفصل الأول من مسرحية «ياماكان فى نفسى» وهى فى مقدمة مسرحياتنا الناجحة جدا.

وكانت مفاجأة.. سقط فصل المسرحية الذى قدمناه سقوطاً شنيعاً، ولم ينفرج فم واحد أو واحدة من أمراء وأميرات البيت المالك بضحكة أو حتى ابتسامة واحدة، بل جلسوا واجمين صامتين وكأنما كنا نمثل باللغة الهيروغليفية. والعذر معهم أنهم كانوا ملتزمين أطار أصلهم التركى وغير مختلطين بالشعب.

وخرج نجيب من المسرح مثلّج الأطراف، وإذا بمراد محسن ناظر الخاصة يتبعنا ويبلغنا أنعام جلالة الملك علينا بغضبه الملكى، مبلّغاً إيانا نص نطق جلالته السامى:

ـ إيه الكلام الفارغ ده والهرجلة دى.

ثم يضيف:

ـ ولما انتم عاملين لحن غنائى فى المسرحية موش كنتم تجيبوا مطرب من كبار المطربين زى عبد الوهاب مثلاً، وإن ماكانش رضى ييجى كنتم تقولوا لنا نجيبه بواسطة السرايا..!

وكان فى المسرحية لحن هزلى لموسيقى ملحن مغمور مهرج يقول فى كلمات هذا اللحن:

الهجر طبعك وأنا طبعى
أجرى وألف عليك تانى
والكالو ينقح فى صوابعى
والجزمة ياحبيبى واجعانى

وكان يمثل دورالملحن أحد ممثلى الفرقة «اسكندر منسى» ويعلّمه على البيانو لبطلة المسرحية ميمى شكيب فى مشهد مضحك ساخر.

ولم نجب مراد محسن بالطبع، ونحن نعرف أنه يبدى اعتراضه بصوت سيده، ونعرف سيده.

الفصل الثانى عشر

غنيت فى الأوبرا ليلة واحـدة..!

كانت المرحومة السيدة هدى شعراوى فى قيادتها للنهضة النسائية فى مصر متعصبة أشد التعصب لكل ماهو عربى، شأن المرحوم طلعت حرب فى قيادته للنهضة الاقتصادية، فقد كانت حريصة فى بناء قصرها الذى ما زال قائماً فى شارع قصر النيل وفى تأثيثها لهذا القصر على التزام الطابع الشرقى «الأرابيسك»، رغم إن ثقافتها كانت فرنسية، وكانت أيضاً فى بداية الأمر كطلعت حرب لا تحب الريحانى وترفض مشاهدة مسرحياته، على اعتبار أنه من أصل غير مصرى وأن مسرحياته فرانكوآراب. فلما اعتزمت إصدار مجلة ألف صنف وأعلنت عنها فى الجرائد جاءنى يوماً رسول من قبل هدى شعراوى يحمل مظروفاً باسمى مع بطاقة من هدى، وفتحت المظروف فوجدت به مبلغاً محترماً مساهمة منها فى إصدار المجلة. وذهبت اليها أشكرها وأتعرف بها لأول مرة وفاجأتنى بقولها:

ـ أنا معجبة بك قوى من أزجالك اللى بتنشرها فى الكشكول.

واتضح لى أنها ليست عندها فكرة عنى كمؤلف مسرحى، فدعوتها لمشاهدة المسرحية التى كانت تمثلها لى فرقة الريحانى وقتئذ، فكان جوابها الصريح:

ـ متأسفة.. ما أقدرش.. الريحانى ده دمه ثقيل على قلبى.

ـ شفتيه بيمثل قبل كده ؟

ـ لا.

ـ لو شفتيه تغيرى رأيك.

ـ متأسفة.. ما اقدرش.. اعذرنى.

وعبثاً حاولت أن أغير فكرتها الظالمة عن نجيب الريحانى، إلى أن جاء يوم وكانت صلتى قد توثقت بها، واتصلت بى تقول:

ـ أنا عندى ضيوف ستات أجانب من الاتحاد النسائى الدولى وعاوزة أعزمهم الليلة على مسرح، اختار لى مسرح.

واخترت مسرح الريحانى. واضطرت هدى شعراوى أن تجئ مع ضيفاتها مجاملة، وفى نهاية الرواية تقدمت إليها اسألها:

ـ إيه رأيك؟

ـ يا سلام. نجيب الريحانى ده عظيم خالص.

ـ الحمد لله.

ـ تصور الستات الضيوف فهموا الرواية من تعبيرات وشه وماخلونيش أشرح لهم وأترجم لهم.

ـ دى شهادة يعتز بها الريحانى.

ومن ليلتها تغيرت فكرتها عن نجيب.

ولما حان موعد حفلة الاتحاد النسائى السنوية لمساعدة البنات الفقيرات اللواتى يحتضنهن الاتحاد قالت لى هدى.

ـ الحفلة بأعملها كل سنة فى حوش المدرسة فى شارع القصر العينى، ولكن السنة دى عاوزة أعملها فى الأوبرا لأنها ح تكون تحت رعاية الملكة فريدة. أيه رأيك؟

ـ عظيم.

ـ وعاوزه أعمل حاجة جديدة فى الحفلة دى، عاوزاك تكتب مسرحية أوبريت تشترك بنات المعهد فى تمثيلها مع الفنانات والفنانين اللى ح تختارهم. اتفقنا؟

ـ اتفقنا.

ـ وعلى فكرة ميعاد الحفلة قبل الليلة الكبيرة لمولد النبى بليلة.

ـ وهو كذلك.

وتفرغت لتأليف المسرحية، وهدانى موعدها، فى الليلة السابقة لمولد النبى إلى أن أجعل حوادثها تدور فى ساحة المولد وتستعرض ألوان

الفولكلور التى تعرض فى تلك المناسبة، مع المظاهر الدينية المألوفة من ذكر وإنشاد ومدائح، ويتخلل الاستعراض غناء وفكاهة. ومن ضمنه مقهى بلدى فى ركن يغنى فيه الشيخ زكريا أحمد، رحمه اللّه، وذهبت بالمسرحية إلى هدى شعراوى فأعجبتها ووافقت عليها.

وسلمت زكريا أحمد كلمات اغنيته بعد أن وافق على أن يلحنها ويغنيها فى الحفلة. ولم يلبث أن فرغ من التلحين وأخذ يشترك معنا فى البروفات، وأجدنا الاستعداد، وحان يوم الحفلة، واجتمعنا فى البروفة النهائية «الجنرال» الساعة العاشرة صباحاً، وإذا بالشيخ زكريا يصل وقد ضاع صوته بالمرة من نزلة برد، بحيث يستحيل عليه الغناء بل ومجرد الكلام، وأسقط فى يدنا، ماذا نفعل، ولم يبق على الحفلة سوى بضع ساعات، وقالت السيدة حواء إدريس سكرتيرة الاتحاد النسائى:

- نجيب محمد البكار.

- البكار تينور، واحنا عاوزين مغنى عربى يغنى غناء شعبى.

وأخذنا نفكر، حتى استقرار رأينا على إسناد الدور لعبد الغنى السيد، رحمه اللّه، واتصلنا به فجاء، وشرحنا له الموقف، وعرضنا عليه الدور، فصاح فينا:

- أنتم عاوزين تذبحونى وتخسرونى اسمى.. امتى أحفظ الكلام، وامتى أحفظ اللحن، والحفلة الليلة دى.

قلت:

- معلهش، اتصرف فى اللحن زى ما أنت عايز؟

- موش ممكن.

- اعمل معروف؟

- لما تقطعوا رقبتى.

وتركنا، وانصرف، وأخذ الوقت يمر، والمساء يقترب، وقالت لى حواء إدريس:

- أبلّغ هدى هانم وهى تتصرف؟

- لا.. اوعى تقولى لها علشان ما ننكدش عليها.

- أمال ح نعمل إيه؟

- ولاحاجة.. أنا اللى ح امثل الدور.. أنا المؤلف، وباحضر البروفات.

- بس الغناء؟

- ح أغنى كمان.. أنا حافظ اللحن، وودنى موسيقية وصوتى موش بطّال. دلوقت تشوفى فى البروفة.

وقد كان، واطمأنت حواء، وجاءت ساعة الحفلة، واجتمعنا فى الأوبرا، وطلبت من عامل الماكياج أن «يلخبط» لى وجهى. ورفع الستار عن ساحة مولد حقيقى، فقد أصرت هدى شعراوى على أن تنقل «المولد» بحاله من ساحة الحسين إلى مسرح الأوبرا، ونصبات العرائس والحلاوة، والحواة، ورجال الذكر، والمنشدين، والمهرجين، والباعة

السريحة.. ولم تقبل أن نقيم ديكورات أو رموزاً.. وجاء دورى وغنيت، ووفقت وأطربت.

وفى آخر الحفلة جاءت هدى شعراوى تسألنى:

ـ هو الشيخ زكريا ماجاش؟

ـ لا واللّه، عيى وصوته انحاش ما قدرش يغنى.

ـ على أي حال الحمد للّه المغنى اللى جبته بداله كويس، صوته حلو، وعجبنى خالص وعجب الملكة والأميرات.. اسمه إيه المغنى ده؟

ـ بديع خيرى.

ولم تصدق هدى شعراوى، إلا بعد أن شهدت حواء إدريس وشهد غيرها من السيدات المشرفات على الحفلة بما حدث.

وهكذا كنت مطرباً يوماً ما.. وغنيت على أكبر مسارح مصر دار الأوبرا..!

الفصل الثالث عشر

مؤلفة حزايني..!

كنا - أنا وسيد درويش - نسكن متجاورين في شبرا، كما قدمت. وفي الطابق الأرضي من بيت سيد درويش كانت تسكن سيدة في حوالي الأربعين اسمها «الحاجة خضرة»، وهبت ملكة تأليف الكلمات الحزنية المثيرة التي تلقيها «الندابات» في المآتم، وتصوغها حسب أنغام الندب الروتينية المألوفة، وأنها تسير على منهاج المسارح في إقامة بروفات للنائحات كل يوم أربعاء في بيتها لتحفظهن منظوماتها الأليمة. واستهواني أن أعرفها عن قرب، فعرفتني بها «السيدة ملوك» أم سيد درويش، وشئت توثيق المعرفة منذ البداية، فعرضت على الحاجة خضرة التطوع لإعطاء ابنتها الصغيرة دورسا خصوصية بصفتي مدرسا سابقا، فقبلت شاكرة ممتنة. وطلبت منها يوما أن تتيح لي

فرصة حضور بروفة الأربعاء فاعتذرت بأن الندابات نسوان وعيب إن راجل يقعد فى وسطهم.

ـ طيب أقول لك حاجة.. انتى تقعدى معاهم فى الحوش، وأنا حادخل جوه أودة الجلوس بتاعتك اللى بتطل على الحوش، وأبص واسمع من ورا الشيش.

ـ كده يبقى معقول.

وقد كان. وقفت وراء الشيش، وجاء «النسوان»، وجلسن على الحصير فى الحوش حول الحاجة خضرة، وأخذت كل واحدة منهن تطلب منها منظومة باكية مبكية دامية فى موضوع.

● قولى كلمتين ياحاجة عن قتيل فى مصادمة «أوتومنبيل».

● وانا ياحاجة عاوزة كلمتين فى شاب انتحر علشان حبيبته مارضيش أهلها يجوزوها له.

● وانا ياحاجه عاوزه كلمتين فى معلم جزار بلع حشيش وقف على قلبه موته.

● وانا ياحاجة عندى شابه ماتت بالسكتة القلبية.

وتستزيدهن الحاجة إستيضاحاً.. هل الميت متزوج؟ هل عنده أولاد؟ غنى أم فقير؟ أمه حية أو ميتة؟.. ثم تنطلق ترتجل، وتنشد اللحن الحزين، وتردد مقاطعة كلمة كلمة، ومن ورائها النائحات تلميذاتها، ينحن وراءها.

ولايتركنّها حتى يحفظن الكلمات عن ظهر قلبه.

وأشهد بأننى لم أصادف فى حياتى مؤلفة أو مؤلفا بمثل عبقرية الحاجة خضرة، مع الإعتذار للزميل الكبير يوسف وهبى..!!

الفصل الرابع عشر

قدّمت الشيخ رفعت بالزجل..!

ربطتنى بمشاهير القراء رابطة صداقة متينة. ومن ليلة لأخرى كنت أقضى السهرة فى بيت المرحوم الشيخ على محمود، الذى كان شيخا للمقرئيين إلى يوم وفاته. وكانت تسهر معى شلة بينها المرحوم الشيخ زكريا أحمد، وحسن صبحى سكرتير محكمة الاستئناف، ووالد الكاتب القصصى محمد كامل حسن، وشيخ ضرير ظريف اسمه الشيخ يحيى.(٥)

وفى ذات سهرة من هذه السهرات، وبينما نحن نستمع إلى على محمود وزكريا أحمد يتبادلان غناء ألحان مختلفة، وينقلان من «الصبا» إلى «النهاوند»، ويقول على محمود: «الشيخ يوسف المنيلاوى كان بيقول الدور ده كده» ويقول زكريا: «عبدالحى حلمى. كان يسبقة بموال».. وهكذا.. وإذا بزلزال يفاجئنا، وبيت الشيخ على محمود قديم

عتيق.. ويحمل كل واحد منا المفاجأة بشكل طبيعى،إلا الشيخ صاحب البيت، الذى انتابته حالة صرع، وانطلق يذكر بصوته الحاد الداوى سالله.. الله..الله..،، فى صورة هسترية مندفعة لا تتوقف، بحيث أدركنا القلق عليه.. وعبثا حاولنا أن نهدئ من روعه، ونوقف هيستريته.. حتى انتهى الزلزال، واطمأن إلى انتهائه، فهدأ. لقد كنت أحب الشيخ على محمود، ودفعنى هذا الحب إلى نظم بعض القصائد التى كان ينشدها بصوته الحلو الفريد، وأشهرها قصيدة مطلعها:

بربك يا من جهلت الغراما

أحقا تلوم وتعزل صبا

لئن شئت فى المغرمين احتكاما

أصب وإلا فسل من أحبا

وختمت هذه القصيدة بعبارات من القرآن الكريم:

فبالله كن أيها الحب بردا

عليهم ويانار كونى سلاما

أما الشيخ محمد رفعت فقد عرفته أول مرة عندما توفيت المرحومة والدتى فى سنة ١٩٣٦ . وجاء بعض القرّاء المشهورين أصدقائى أمثال الشيخ على محمود والشيخ الفشنى والشيخ السيسى للقراءة فى السرادق، وكان طبيعيا للعلاقات التى تربطنى بهم أن أتقبل مجاملتهم هذه بالشكر.. إلا أنه لم يكن ببالى أن يأتى أيضا الشيخ رفعت، الذى لم

أتعرف به من قبل، وفوجئت به يجئ، ويصعد إلى «دكة القراءة» فى «الصيوان»، ويقرأ القرآن بصوته السماوى الآخاذ.

وفى آخر الليل ملت على صديقى الشيخ زكريا أحمد، وهمست فى أذنه:

ـ أنت عارف كل الجماعة المقرئيين جايين مجاملة، إنما الشيخ رفعت ما اعرفوش، فأرجوك تحدد مبلغ نديه له.

ـ الحقيقة يا بديع أنا مستبردها، يمكن الرجل يتضايق.

ـ معلش، لازم نعمل كده، ولو من قبيل العرض، نقول له دى مصاريف أو أتعاب رمزية بسيطة، أرجوك تعرض عليه.

ـ وليه بس تصدرنى يا بديع فى مسألة محرجة زى دى؟

ـ معلش.. علشان خاطرى

وذهب زكريا إلى الشيخ رفعت، وعرض عليه الأمر، فغضب، وجاء إلىّ يعتب ويقول:

ـ كده تجرح إحساسى يا أستاذ بديع. أنا جيتلك من غير معرفة صحيح، إنما أنا باسمع إذاعاتك ورواياتك.. وأنا من المعجبين بك من زمان.

وأصبحت صداقة. وجاء يوم ذكرى الأربعين لوفاة والدتى، ودق جرس التليفون، وكان المتكلم عزيز رفعت أحد كبار موظفى الإذاعة فى ذلك الوقت، من أعز الأصدقاء، وقالى لى:

ـ يا بديع أنا عاوز اترجاك فى حاجة بمناسبة ذكرى الأربعين للمرحومة الوالدة؟

ـ أى خدمة؟

ـ النهاردة ذكرى الأربعين بتاع المرحومة الست بتاعتى أرجوك توعز للشيخ رفعت ييجى يقرأ فى الصيوان، وكفاية ليلة الوفاء ما جاش وراح قرأ فى صيوان المرحومة والدتك.

ـ أنا متأسف ـ والله ما أعرف إلا دلوقت.

ـ معلش.

ـ أنا حاروح على طول للشيخ رفعت وأقول له.

ـ أو على الأقل خليه يتقاسم القراء بيننا وبينكم.

ـ حاضر، ما يكونش عندك فكر.

وذهبت إلى الشيخ رفعت وأنا أكبِّره أكثر وأكثر، فقد تخلى عن القراءة فى مأتم زوجة عزيز رفعت، وهو موظف كبير فى الإذاعة، وللشيخ رفعت مصالحه المرتبطة بالإذاعة، ورجوته أن يحقق رغبة عزيز رفعت، ولكن الشيخ رفعت أصر على أن يقرأ عندى. رغم إلحاحى عليه بمراعاة خاطر عزيز رفعت.

بل رفض أن يجعل الليلة مناصفة بينى وبين عزيز.

أصرَّ وجاء إلى السرادق مبكراً، وبقى يقرأ حتى آخر الليل.

وعاشرت الشيخ رفعت طول حياته، وكنا نقضى لحظات روحانية فوق مستوى الناس لعادى، تذاكر الله وإعجاز قرآنه الكريم فى بيت الشيخ بالبغالة. وتبين لى أنه يحب المسرح حبا عميقا، وأن المسرح هوايته منذ صغره، ومحصوله الذهنى فى المسرحيات كبير رغم أنه لم يمثل ولم يؤلف. وكانت عنده كلبه لولو بيضاء لطيفة قلما تغادر حجره، ويحنو عليها حنواً يدل على تقدميته، وعدم تشبثه بالحنبلية، وحدث أن انقطع الشيخ رفعت فجأة عن الإذاعة، وهاجت الصحف، وانهالت التلغرافات على الإذاعة من جميع أنحاء القطر، ومن البلاد العربية. وذهبت إلى الشيخ رفعت، فوجدته غاضباً حانقا على ارذاعة وقال لى:

- تصور إن الشيخ الشعشاعى بياخد أكثر منى، وغيره وغيره.

- يعنى أنت بطلت تذيع علشان الأجر؟

- لأ.. موش علشان الأجر، أنت عارف إن الفلوس ما تهمنيش، إنما المسألة مسألة كرامة..

- طيب اسمح لى أن أتوسط فى الموضوع.

- مفيش فايدة، مصطفى رضا وسعيد لطفى ما بيحبونيش.

- أنا حاروح للمدير.

- المدير انجليزى، وإيش فهّمه فى القرآن.

- معلش.. سيب لى الموضوع.

- اللى تشوفه

وذهبت إلى فيرجسون مدير الإذاعة، وحكيت له الموضوع، وبسطت له شكوى الشيخ رفعت، فقال لى.

- المسئوليين بيقولوا عليه أنه بيتآمر عليهم، ويقول لهم لازم يرفعوا أجره لأنه ما بيكلش غير حمام وفراخ ومستوى معيشته عالى ، وعلشان كده ما بيعرفوش يتعاونوا معاه.

- ده مش صحيح.. ومش منطقى.. وما يتقالش أبدا عن الشيخ رفعت

- إذن لماذا يقولونه؟

- أنا لا أكذّبهم، ولكن أؤكد أن كلامهم لا يخلو من الغرض.

ومضيت ألقى أمام الرجل خطبه طويلة عريضة أصف له حقيقة الشيخ رفعت، وشعبيته الكبيرة فى مصر وفى الأقطار العربية كلها، وموهبته التى لاشك فيها، والتى لا يرتقى إليه فيها منافس، حتى اقتنع، وقال لى بلهجة الاعتذار:

- على العموم أنا مش غلطان. أنا باخد بكلامهم وما يصحش أكون حكم وأنا أجنبى مسيحى

- إذن أقبلنى رسول سلام، وكل ما أطلبه منك أن تأمر بالمساواة فى الأجر بين الشيخ رفعت والشيخ الشعشاعى وغيره من المقرئين الذين يزيدون عليه فى الأجر.

- أعدك بذلك.

وعدت إلى الشيخ رفعت وقلت له:

ـ العالم الإسلامى كله زعلان منك. أنت بتعمل لغرس الإيمان فى قلوب الملايين.. وربنا حيسألك يوم القيامة، وتستطيع إنك تزيد عدد المؤمنين باشتراكك بترتيلك الجميل فى تلاوة كتاب الله.

ثم حكيت له ما جرى بينى وبين مدير الإذاعة، وموافقته على رفع أجره، ووافق الشيخ رفعت على العودة إلى الإذاعة ولكن بشرط.

ـ إيه هو؟

ـ بعد الغيبة الطويلة دى عن الميكروفون تقدّمنى أنت بزجل من أزجالك الحلوة.

ـ وهو ده معقول يا شيخ رفعت؟

ـ أقسم بالله العظيم وبقرآنه الكريم اللى باقراه ما افتح بُقِى قدام الميكرفون إلا إذا قدمتنى بزجل ما تكسفنيش.

ـ خلاص، أمرك.. بس لما استأأذن الإرذاعة.

ـ ولا تستأذن ولا حاجة.. ما هو ياكده يا مش راجع.

وذهبت إلى مدير الإذاعة أنبئه بشرط الشيخ رفعت، فلم يعترض، وأعددت الزجل، وعرضته على الشيخ رفعت، فأعجب به

وتحدد موعد الإرذاعة الأولى لعودة الشيخ رفعت. ويشاء القدر أن أتأخر لسبب ما عن هذا الموعد بثلاث دقائق، ودخلت الأستديو

كالمجنون، فإذا بى أجد صلاح زكى - وكان المذيع يومها - يقرأ الزجل عن النص المصدّق عليه الموجود بالإذاعة، إلقاء جميلا، إذ أنه لحسن الحظ من المتـعشقين للزجل، فلما دخلت عليه توقف، وأعلن وصولى للمستمعين، وأكملت أنا القاء الزجل، ثم بدأ الشيخ رفعت التلاوة، وهو أسعد ما يكون.

الفصل الخامس عشر

متاعب المهنة

مضينا بمسرحياتنا أنا ونجيب الريحانى من نجاح إلى نجاح، ولكن مع النجاح تأتى دائما المتاعب، وأشد متاعب المؤلف المسرحى أنه لا يملك الحرية فى الكتابة دون أن يسلم من النقد. والمهمة أشق بالنسبة للمؤلف الكوميدى.. لأنه ينتزع الشخصيات التى تحيا وتتحرك فى المجتمع.. ويقدمها فى القالب الكاريكتيرى الساخر الهادف.

حدث عندما قدمنا مسرحية «حسن ومرقص وكوهين» المعرروفة أن تلقت إدارة المطبوعات ثلاثة احتجاجات: أولها من الأزهر، وثانيها من بطريركية أقباط الأثوذكس، وثالثها من الحاخام الأكبر معترضين على أسماء الثلاثة.. قال الأزهر: أن «حسن» سبط الرسول عليه السلام.. وقالت بطريركية الأقباط الأرثوذكس أن «مرقص» الرسول أول من بشّر بالمسيحية وأن البطريركية نفسها يطلق عليها اسم الكرازة المرقسية،

وقال الحاخام أن معنى كوهين بالعبرى «الكاهن الأعظم».. وطلبوا منا تغيير الأسماء.. وصممنا نحن على بقائها وقلنا.

- هذه أسماء من الحياة وبين أصحابها مجرمون فى السجون ومجانين ومنحرفون وفقراء مدقعون وأغنياء مترفون، ولا نرى معنى للاحتجاج.

وأيدنا بعض المسئولين فى إدارة المطبوعات، وبقيت الأسماء كما هى عنوانا للمسرحية التى تعد من أنجح مسرحياتنا.

وعندما قدّمنا مسرحية «يا ما كان فى نفسى» كان بين شخصياتها الكاركاتيرية «حلاق»، وإذا بنا نتلقى خطابا من نقيب الحلاقين «على الأبوكاتو» يحتج فيه على تقديمنا شخصية الحلاق بالصورة التى قدمناه بها، مع أنه رجل محترم فى الهيئة الاجتماعية، والفعل زين يزين فهو مزين يعنى مزخرف، ورددنا عليه نعتذر، ونؤكد له احترامنا الكامل، وتقديرنا الكلى للحلاقين، وعدم تفكيرنا أبدا فى المساس بكرامتهم، وأننا عرضنا شخصية الحلاق كما نعرض شخصية الباشا أو المحامى أو المستشار، فى نفس القالب الكاريكاتيرى.

وقبل «على الأبوكاتو» الاعتذار

وفى مسرحية «إلا خمسة» رفع علينا جبريل شحاته المحامى دعوى لتقديمنا شخصية «المحامى» بطل هذه الرواية فى صورة انتزعناها من حقيقة المحامى الذى يلقى الكساد فى عمله. وسر نجيب من هذه الدعوى، وقال أنها ستكون سابقة فى تاريخ المسرح العربى، ودعاية

كبرى لمسرحنا. ولكن الصديقين المرحومين توفيق دوس وعبدالحميد عبدالحق المحاميين والوزيرين السابقين المعرفين تدخلا وأقنعا جبريل شحاته بالتنازل عن الدعوى.. ومع ذلك أصر نجيب الريحانى على المضى فيها لولا إقناع الصديقين المحاميين الكبيرين له بقبول التنازل. وكان لطيفا عندما قال الرجلان:

- خلاص يا نجيب.. إحنا اتفقنا مع الرجل.

فأجابهما:

- لأ.. أنا وبديع متمسكين بالقضية كمتهمين.. إحنا حرين.

واحتجاجات ودعاوى كثيرة.. وفى كل مرة كنا نكسب الموقف فى النهاية إلا عندما تلقينا احتجاجا من نقيب الأطباء البيطريين على تقديمنا فى مسرحية «كلام فى سرك» شخصية طبيب بيطرى فى الأرياف لم يوفق فى عمله الطبى، فاشتغل ببيع بعض السلع الخفيفة لأصدقائه، ولم يهدأ النقيب حتى قلبنا الدور من «دكتور» إلى «تمورجى»..!

وشخصية المستشار «إسماعيل بك جرجير» فى مسرحية «٣٠ يوم فى السجن» أقامت الدنيا وأقعدتها علينا فى الوسط القضائى، لولا توسط الأصدقاء لصرف الموضوع.

مسرحياتنا فى روشته..!

اعتدت أن أصرف أذونات أجرى عن إذاعاتى فى الإذاعة مرة واحدة كلما تجمعت من وقت لآخر. وكنت أصرفها من رئيس الصرافين

وقتئذ واسمه «الأستاذ بربارى»، الذى كان يصر فى كل مرة على أن يدعونى للدخول إلى مكتبه، وتناول فنجان قهوة. وذهبت إلى بربارى يوما لأصرف مجموعة أذونات، ودعانى كالعادة للدخول إلى مكتبه، وتناول فنجان قهوة، فقلت له معتذراً:

- معلش يا أستاذ بربارى أنا مستعجل النهارده.

- أرجوك ٥ دقائق بس.. عندى حاجة عاوز آخد رأيك فيها.

ودخلت المكتب.. وأخرج بربارى من جيبه «روشتة حكيم» ناولها لى وقالى لى:

- اتفضل أقرأ.

وأمسكت بالروشته وقرأت اسم الطبيب «الدكتور منصور»، وكان طبيباً مشهوراً وقتئذ، ثم أسماء الأدوية بالاتينى بالطبع ومواعيدها وجرعاتها باللغة العربية، وتوقفت فى آخر الروشته عند هذه العبارة التى فاجأتنى وأدهشتنى «الذهاب إلى مسرح الريحانى مرتين فى الأسبوع»، وقال لى بربارى أنه مصاب بمرض نفسى، وأن هذه الروشته لعلاجه وقال لى:

- تصور إن مسرحكم يا أستاذ بديع بقى علاج بيوصفوه الدكاترة؟!

ولما حكيت الحكاية للريحانى سر وسعد لهذا الدليل الكبير على أثر المسرح والفكاهة كعلاج نفسانى .. وحاولت أن أدعو بربارى باسمى وباسم الريحانى ليقبل العلاج فى مسرحنا على حسابنا، فأبى كل الأباء،

وقالى لى:

ـ أنا ما قلتلكش الحكاية وأنا بأرمى لهذا الغرض .. إنما حبيت أوضح لك أى مدى وصل تقدير الناس لمسرحكم.

الفصل السادس عشر

رحلة شمال افريقيا
والحجز على الوابور

اتفقنا على رحلة فى شمال أفريقيا. وسبقنا بمدة المتعهدون الثلاثة على يوسف وموريس وكريم لاستئجار المسارح، وعمل الدعاية، وإعداد المطبوعات. ثم تبعهم نجيب الريحانى وبديعة مصابنى ليتعرفا على الجمهور هناك ويختلطا بالمجتمع كدعاية حية للفرقة. وتم الاتفاق على أن أصحب أنا الفرقة كلها فى السفر بحيث نصل إلى تونس قبل يوم الافتتاح بيومين.

وقمت بالفرقة فى أمان الله فى باخرة يونانية اسمها «أندروز» من الأسكندرية بحيث نصل قبل الافتتاح بيومين. وكان خط سير الباخرة من الأسكندرية الى بيروت، ثم مرسيليا، ومن هناك نستقل باخرة أخرى إلى تونس. ولكننا قبل أن ندخل بيروت ونحن ما زلنا فى عرض البحر، أحسسنا بهرج ومرج بين ضباط الباخرة، وأدركنا القلق، وظننا

فى حدوث حادث، حتى كشف لنا القبطان السر.. لقد وصلت برقية إلى سلطات بيروت تفيد أن الباخرة موبوءة بالكوليرا، للأشتباه فى إصابة عيد مرعى مخزنجى ملابس الفرقة وعبدالعزيز محجوب الملقن.. ورفع القبطان العلم الأصفر على الباخرة، وقال لنا:

ـ غير مسموح لنا بدخول بيروت، وسنتجه على الفور إلى بيريه فى اليونان، البلد الذى تتبعه الباخرة.

وقلنا الحمد لله لاختصار الطريق، دون أن ندرى أن مفاجأة كانت فى انتظارنا فى بيريه، فقد اقتادونا بباخرتنا منذ لحظة وصولنا الى الكورنتينة لنعيش فيها تحت المراقبة الصحية أياماً. ولم تكن أمامى أية طريقة للاتصال بنجيب الريحانى فى تونس.. ومرت أيام الكورنتينة، وضاع خلالها يوم الافتتاح، ونجيب يكاد يجن، وهو لايعلم لنا مكاناً.. حتى أفرج عنا، وواصلنا الرحلة إلى مرسيليا، ومن هناك أبرقت إلى نجيب، ثم أكملنا رحلتنا إلى تونس، وقوبلنا من أهلها بحماس عظيم، وقدمنا مسرحياتنا بنجاح فوق ما كنا نتصور لمدة عشرة ليالى على مسرح البلدية، وفى النهاية أردنا أن نحاسب المتعهدين، فإذا بهم قد اختفوا، بعد أن انفقوا كل الإيراد على موائد القمار، وتركوا لنا كمبيالات بديون قمار أخرى.. ولم يكن معنا فرنك واحد حتى لدفع أجرة الفندق، فندق ماجستيك أرقى فنادق تونس.

وقلت لنجيب:

ـ مافيش حل إلا إنى أسبقكم على الجزائر أنا وجبران نعوم (أحد ممثلى الفرقة) ونحاول أن نتفق على كم ليلة هناك بدل المتعهدين، ويمكن نقدر ندبر قرشين مقدماً.

ـ اللى تشوفه يا بديع. روح وربنا يوفقك وترجع تفك رهننا.

وذهب إلى إدارة الجوازات لأحصل على تأشيرة الخروج، وبينما أنا جالس هناك جاء رجل تونسى لشأن ما وجلس إلى جانبى، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث، وإذا به فجأة يشهق شهقة واحدة، وينزل إلى الأرض ميتاً، وظننت إنه أُغمى عليه، وحاولت إفاقته.. ولكنه كان قد مات. وكانت ورطة، وتحقيق وسين وجيم فى مركز الشرطة، ولم يفرج عنى إلا بعد ساعات.

أنقذنا سى محمد

سافرنا انا وجبران نعوم إلى الجزائر، وكانت أول بلد وصلنا إليها بعد اجتيازنا الحدود بلدا صغيراً اسمه «سوكراس» (سوق الرقص) تعداد سكانه بسيط. وجلسنا على أول مقهى صادفنا لنستريح، ولما رآنا صاحب المقهى نرتدى الطرابيش أدرك أننا مصريان، فأقبل علينا يرحب بنا، وقدّم نفسه إلينا:

ـ أخوكم محمد.

ورحّبنا بسى محمد بدورنا، وعرفناه بنفسينا، وسألنا عن عملنا وسبب مجيئنا إلى بلاده، فقلنا له اننا أصحاب فرقة تمثيلية وإننا نطوف البلاد العربية وهدفنا توثيق أواصر الصداقة بين شعوب هذه البلاد وإثارة النخوة الإسلامية والعزة العربية بالمسرحيات التى نقدمها، وسألنى سى محمد:

ـ كم ليلة تنوون تمثيلها فى بلدنا؟

ـ والله أنا شايف البلد صغير وما يستحملش، كفاية ليلة أو ليلتين.

ـ لا.. خمسة ليال على الأقل.

ـ طبعا ممكن ننصب صيوان نمثل فيه.

ـ ولماذا الصيوان. لماذا لاتمثلون فى مسرح البلدية؟

ـ وهل عندكم مسرح فى هذا البلد الصغير؟!

ـ فى كل بلد عندنا دائما المسجد والكنيسة والمسرح وقاعة الحفلات.

وذهبت بى إلى المسرح، فدهشت إذ رأيته مسرحا حديثا مكتمل المعدات مثل مسارح أى عاصمة كبرى. ثم ذهبنا إلى البلدية لنستخرج التصريح بالتمثيل فى هذا المسرح، ولكنهم لم يصرحوا، وقالوا لنا إنه لايصرّح بالتمثيل عليه الا للفرق الفرنسية فقط، حتى الفرق الجزائرية لو وجدت لايصرح لها أيضا.

وثار سى محمد، وصاح:

ـ هذا لايليق مع ضيوفنا العرب.

وقال لى:

ـ هيا بنا إلى سى عمر.

وذهبنا إلى «سى عمر» وهو محام جزائرى فى هذه البلدة، وله نفوذه الكبير فيها، وحكينا له ما جرى، فعاد معنا إلى مدير البلدية، وكان

فرنسياً بالطبع، وحاول إقناعه، فأصر على رفضه، وتركه، وأخذ يطوف على باقي أعضاء البلدية وبينهم جزائريون، فوافقوا، وخشي مدير البلدية أن يكون لرفضه وحده رد فعل شعبي ضده، فسمح لنا بأربعة ليال على مسرح البلدية.

وبعد أن خرجنا من البلدية ذهبنا إلى المسرح، وجاء سي عمر بخريطة الصالة (البلان) وسألني:

ـ أسعاركم كم؟

وقلتها له، فأمسك بورقة وقلم، وعدّ كراسي المسرح، وأجرى الحسبة عن الأربعة ليال كلها على اعتبار أنها كاملة العدد، ثم سلمني شيكا بالمبلغ كله. وعدت الى اللوكاندة والشيك في جيبي، وأنا أكاد أجن من الفرح، وأرسلت «النجدة» إلى نجيب في تونس على الفور. وفي انتظار مجيئه كنت لا أترك صلاة فريضة في مسجد البلدة حمدا لله وشكرا.

ووصل نجيب مع الفرقة، وكان نجاحا يثلج الصدر. ووجدنا في البلدة سيدة مصرية من الأسكندرية متزوجة من جزائري ثري، فكانت لسان دعايتنا، وأقامت سوكراس لنا حفلة تكريم قبل سفرنا.

واشتغلت «امبرزاريو» لبقية الرحلة، وسدد الله خطانا رغم أن المتعهدين الهاربين لم يتركونا، بل لاحقونا بمنشورات تتهمنا بأننا يهود، وكان معنا بالفعل يهوديين ضمن، أفراد الفرقة الموسيقية، وهما «دافيد سابيم «قائد الفرقة» و«جاكومو» أحد أفرادها، وكنا قد احتطنا

وسمينا الأول «مصطفى صائم» والثانى «سيد»، ولذلك لم تلق المنشورات أى صدى من القبول، بل زادت الناس تقديرا لنا، وعزز هذا التقدير إنهم كانوا يرونا بطرابيشنا المصرية نصلى فى المساجد أمامهم فريضة بفريضة، وبلغ من اقتناعهم أنهم أصبحوا يسمون نجيب نفسه «الشيخ نجيب» (!). وكنت أحرص على حضور الحفلات الدينية التى كانت تقام لمناسبة رمضان، إذ صادف وجودنا هناك هذا الشهر الكريم. وكانت الفرقة كلها تصوم، حتى اليهوديين لأن الجزائريين كانوا لايطيقون أبدا رؤية مفطر أمامهم.

ومع ذلك، وقعنا ذات يوم فى مأذق. كنت فى الفندق وقت الظهر أتصفح الجرائد عندما دخل على صديق جزائرى، شيخ معمم من الأثرياء أصحاب النفوذ، وكان مهتاجا وفى حالة غير طبيعية وقال لى:

ـ أستاذ بديع.. تعال معايا.

وظننت انه يدعونى لنزهة أو زيارة، ولكنه مضى يسألنى:

ـ فين الشيخ نجيب؟

ـ ما أعرفش.. أنا صحيت من النوم مالقيتوش.

ـ طيب.. تعال معايا.

ـ على فين؟

ـ ح تشوف.

وركبت معه سيارته الفاخرة، وذهب بى قرب مقهى خلوى فى أطراف المدينة التى كنا بها، وأشار إلىّ من بعيد الى المقهى، وقال لى:

ـ أنظر.. هناك تحت الشجرة

ونظرت هناك تحت الشجرة، فوجدت نجيب الريحانى جالسا مع بديعة مصابنى يعاقران زجاجة كونياك، ومضى صديقى الشيخ يقول لى ثائراً:

ـ أيرضيك هذا الكفر من الشيخ نجيب وفى عز رمضان؟!

ـ طبعا لا يرضينى.. أرجوك انتظرنى هنا لحظة. سأذهب إليهما.

ـ وماذا ستفعل معهما؟

ـ ح أوريهم شغلهم.

وتقدمت إلى نجيب وبديعة، وانهلت عليهما شتماً ولوماً وتوبيخاً، وهما لايفهمان سر حملتى عليهما، ويظنان بى دخلاً طارئاً، دون أن يخمنا الحقيقة، أو يفطنا إلى الرجل الواقف من بعيد يرقبنى ويرقبهما، حتى إذا ما فرغت جعبتى همست أفهمها حقيقة الموقف، ثم عدت إلى الرجل، ورأيت على وجهه علامات الرضا له ملتمسا العذر لنجيب وبديعة:

ـ لا مؤاخذة، أصلهم عندهم مغص ما نيمهمش طول الليل، وعلشان كده بيشربوا كأسين كونياك.

ولم يتقبل العذر، وفى نفس الليلة دعا الفرقة كلها لتناول السحور على مائدته فى قصره. ولما ذهبنا إلى هناك فوجئنا بأن وجدنا على الموائد مع أطايب الطعام زجاجات الويسكى، وملت على الرجل أهمس فى أذنه:

ـ عجيبة.. النهارده خليتنى اشتم نجيب وبديعة علشان كأس كونياك، ودلوقت إيه رأيك فى قزايز الويسكى دى كلها؟

وأجابنى بكل هدوء ووقار العلماء:

ـ بالنهار صيام، إنما بالليل افعل ما تشاء..!

تركنا بديعة فى وهران

مضت بنا رحلتنا من نجاح إلى نجاح حتى وصلنا إلى «وهران».

وذات ليلة فوجئت بديعة مصابنى بزوجها نجيب الريحانى مختليا بحسناء فرنسية جميلة فى ركن من أركان قاعة الفندق الكبيرة، يلاغيها وتلاغيه، فثارت غيرتها، ولكنها كتمتها فى صدرها، وصعدت الى غرفتها وأقفلت الباب عليها. وصحونا فى الصباح لنجد هذه الفرقة خالية من صاحبتها ومن ملابسها وأمتعتها.. فقط ورقة تركتها على السرير، بضع كلمات لنجيب:

«فى الوقت الذى تصلك فيه هذه الرسالة أكون فى طريقى إلى مصر ولن تعرف مكانى ولتهنأ مع صاحبتك الفرنسية».

وجن نجيب، وجننت معه.. ماذا نفعل وبديعة هى «بريمادونة» الفرقة وهى التى تحفظ الالحان، وهى كل شئ.

فى وسط دوامة حيرتنا تقدمت الينا ممثلة صغيرة بالفرقة «فتحية شريف» أبنة زوجة جبران نعوم، وزوجة الممثل عماد حمدى الأولى..

وقالت لنا:

ـ انا حافظة كل ادوار وألحان الست بديعة.

ـ مستحيل.

ـ اعملوا لى بروفة.. تسمحوا لى.

وقبل أن نسمح لها.. انطلقت تمثل وتغنى.. وفوجئنا بأنها تحفظ بالفعل كل ادوار والحان بديعة.. وكانت النجدة التى واصلنا بها رحلتنا.. وبنفس النجاح ولله الحمد.

وتركنا الجزائر إلى المغرب، ومن بلد إلى بلد، حتى وصلنا إلى مراكش، وما كدنا نحط رحالنا فى فندق كونتننتال هناك، حتى جاءنا رجلان «مرسى بركات»، و«مصطفى الجزار» وقدما نفسيهما إلينا.. الأول عازف قانون مصرى كان قد تعاقد معه «الجلاوى» باشا مراكش ليكون له طاقم عازفات يعزفن لضيوفه، وكان يعيش فى بذخ وترف ألف ليلة. وبعد أن انتهى مرسى بركات من مهمته استبقاه الجلاوى وأغدق عليه وزوجه مراكشية وتزوج هو عليها مراكشيتين اخريتين، ومن إحدى زوجاته هؤلاء أنجب المطربة العربية التى عرفناها فى القاهرة «حسيبة رشدى».. والرجل الثانى «مصطفى الجزار» مصرى أيضا، شقيق الممثل إبراهيم الجزار أحد نجوم فرقة فاطمة رشدى وقتئذ، وكان يعمل كناظر زراعة الجلاوى.. ودعانا الرجلان إلى حفل كريم أقامه لنا الجلاوى.

وكان حفل الجلاوى خيالياً .. وسألنا خلاله:

ـ أين ستمثلون؟

ـ فى تياترو معمل البارود.

ـ كم ليلة؟

ـ ليلتين، ثلاثة .. البلد ما تستحملش.

ـ وأنتم مالكم .. ح تشتغلوا ٨ ليال .. ما عليكم إلا أنكم تمثلوا كل ليلة وتيجوا تسهروا عندى للصبح.

ـ بس...

ـ بس إيه .. مالكوش دعوى بشباك التذاكر .. عندى ٤ خلفاء ياخدوا التذاكر بالنهار ويوزعوها لكم ..

وقد كان .. يأخذ الأربعة التذاكر بالنهار وفى نصف ساعة يكونوا قد انتهوا من توزيعها .. وبالليل نمثل دون أن نرى أمامنا مقعداً واحداً خاليا فى الصالة .. وبعد التمثيل ليلة من ليالى ألف ليلة فى قصر الجلاوى .. وبعد مراكش ذهبنا إلى طنجة ومثلنا على مسرحها العالمى «بريلتيز» .. ثم عدنا إلى القاهرة .. وكانت المتاعب فى انتظارنا .. !

الفصل السابع عشر

البحث عن المتاعب
الشـــاعـــر إياه..!

كنت جالساً ذات يوم فى مقهى الماجستيك عندما أقبل علّى الصديق المرحوم الشيخ عبدالعزيز البشرى ومعه سليمان فوزى صاحب مجلة الكشكول. وكانت الكشكول وقتئذ مجلة سياسية وأدب، يساهم فى تحريرها عبدالعزيز البشرى ومحمد المويلحى ومحمد الهياوى وحسين شفيق المصرى. وكنت قد نشرت فيها من وقت لآخر بعض الأزجال، بلا اسم ولا أجر.. وقال لى البشرى إن سليمان فوزى يريد أن يعيننى فى مجلته بصفة دائمة وبأجر، فرفضت معتذراً بأن الصحافة هوايتى والتأليف المسرحى مهنتى. ومضيت أعمل فى الكشكول هاوياً كما إنا. وكان الهـهياوى ينشر قصائد كاريكاتيرية ضد الوفد مقلداً أسلوب المرحوم الوزير الوفدى محمد نجيب الغرابلى وبامضاء «الشاعر إياه».. وكان الناس كلهم يظنوننى هذا الشاعر اياه. وأذكر من ازجالى التى

نشرتها وقتئذ زجلاً عن الانتخابات التى كان جريا الترشيح لها فى ذلك الوقت، وكان على المرشح أن يدفع كذا مائة جنيه لخزينة حزبه، والله أعلم أين تتسرب من هذه الخزينة، وكانوا يسمون المبالغ التى يدفعها المرشحون «التضمينات». فقلت:

ترشيحات شئ بالضريبه
تضمينات شئ بالزكيبه

قصره نواب والسلام
ايه كتاب وايه قرايه

سيبك التفويت كفايه
بس ممنوع الكلام

ثم أصدرت باسمي ولحسابي مجلة ألف صنف.. مجلة جامعة باللغة الدارجة، وكانت عند التابعي نفس الفكرة. وصدر لى تصريح إدارة المطبوعات من مديرها بالنيابة، الذى شاءت المصادفات أن يكون الشيخ عبدالعزيز البشرى وقتئذ.. ولم يكتف باصداره التصريح بل أرسل برقية يهنئنى ويتمنى لى التوفيق.

وطلعت على الناس فى مجلتى لأول مرة بإعلانات الزواج. وكنت اطبع المجلة فى المطبعة التجارية، التى كان يملكها رجل اسمه عبدالعظيم سعودى، وكانوا يسمونه دكتاتور الصحافة، لكثرة ما كان يطبع فى مطبعته من مجلات، من بينها مجلة خيال الظل التى كان يصدرها أحمد حافظ عوض. وتصادف أن التقينا لأول مرة هناك بعد

أشهر من صدور مجلتى، فإذا به يهاجمنى فى فكرة إعلانات الزواج، ويتهمنى بأنها من اصطناعى هى والردود عليها. وعبثاً حاولت أن أثبت له ليلتها صدق هذه الإعلانات وفائدتها. واضطررت أن أستدعى له مأذوناً كان قد عقد زواجاً تم بناء على إعلانات مجلة ألف صنف.

وعاشت ألف صنف ثلاث سنوات، ثم أقفلها صدقى باشا، وأصدرت بعدها «الغول» ولم تلبث أن اقفلها هى الأخرى محمد باشا محمود.

وفكرت فى إصدار جريدة يومية باسم «النهارده» تكتب كلها باللغة الدارجة من الافتتاحية الى الاعلانات، بناء على نجاح الفكرة فى ألف صنف، واستصدرت ترخيص إدارة المطبوعات بالفعل، وأخذت أعد العدة لإصدار الجريدة فى عمارة بركات المقابلة لمحلات عمر أفندى، وإذ بالأستاذ توفيق دياب الصحفى الخطيب الكبير وصاحب جريدة الجهاد، يقول لى:

ـ أنت عارف إنى بعد ما قفلوا لى الجهاد طلعت «اليوم ده» وقفلوه لى راخر؟

ـ أيوه عارف.

ـ طيب إيه رأيك نطّلع النهارده سوا بس مجلة نسميها «النهار» علشان تبقى قريبة من اليوم.. ونحط كلمة «ده» ضفيرة على شكل ورده.

ـ بس أنا عاوزأطلعها بشكل جديد خالص.

ـ معلهش.. ده عمل يذكر لك فى التاريخ بإنك ساعدت فى الحركة الوطنية.

ـ ده عمل يشرفنى وأعتز به.

ـ إلا إذا كانت موش عاجباك زمالتى، وخايف من متاعبها.

ـ أستغفر الله.. دا انت أستاذنا.

ـ اتفقنا.

وأصدرنا الجريدة.. ولم تعش سوى ١٨ يوما.. وأقفلها صدقى باشا هى الأخرى.

واكتفيت بعد ذلك من متاعب مهنة البحث عن المتاعب بالاشتغال محرراً.. أحرر صحيفة زجلية كل أسبوع فى مجلة روز اليوسف.. وكنت لاأوقع باسمى.. وأذكر لرئيس تحريرها وقتئذ الأستاذ الكبير «محمد التابعى» كيف تحمل عنى مسئولية واتهام نشر زجل فى مناسبة انتخابات صدقى باشا، الانتخابات التى فاز فيها حزبه بنسبة ٩٩٪، حتى لايلحق بى ضرر هذا الاتهام.

أنا وآدم وحواء

وكانت أقسى المتاعب التى صادفتها فى مهنة البحث عن المتاعب بسبب سلسلة خفيفة كنت أنشرها أسبوعيا فى مجلتى «ألف صنف» تحت عنوان آدم وحواء فى الجنة، وإذ بمدير المطبوعات وقتئذ الأستاذ

عبدالرحمن جميعي يستدعيني. وذهبت إليه في مكتبه، فوجدت عنده رجلا وقورا بادى الحكمة والاتزان، وبمجرد أن دخلت المكتب صاح في مدير المطبوعات:

ـ البلد موشى فوضى يا أستاذ. أيه حكاية آدم وحواء في الجنة بتاعتك دى؟

ـ أنا لسه ما قلتش سلام عليكم.. وأقعد وتناقشنى سيادتك زى ما انت عاوز.

ـ تناقش علماء الأزهر؟

ـ ما لهم علماء الأزهر ومالى؟

ـ بيحتجوا على سلسلة آدم وحواء.

ـ علشان ايه؟

ـ علشان آدم نبى وما يصحش الكتابة عنه.

ـ دى قصة مسلّم بها في كل الأديان.

ـ الدين هو الدين على أى حال والأنبياء لهم قداستهم.

ـ القرآن ذكر كل حاجة.

ـ أرجوك بلاش مجادلة على الفاضى.

وقبل أن أواصل الإجابة انبرى الرجل الجالس معنا يدافع عنى ويرد هجوم مشائخ الأزهر، وتكهرب الجو، وأنسحبت أنا إلى مكتب الأستاذ

أحمد شكرى ـ الكاتب والممثل الساخر المعروف ـ وكان يعمل وقتئذ فى إدارة المطبوعات.. واستدعانى المدير بعد لحظات، فوجدته قد بدّل من ثورته هدوءاً، واستقبلنى استقبالا غير استقباله الأول، وكان ضيفه قد خرج، وقال لى:

ـ أعمل معروف.. ارحمنى .. العلماء لهم نفوذ، ولو ما عملتش حاجة ح يشكونى لرئيس الوزراء وللسراى ويقلبوا الدنيا.

ـ يعنى أعمل ايه؟

ـ اقفل السلسلة.

ـ تسمح الأول تقول لى مين الضيف اللى كان عندك.

ـ قصدك المحامى اللى اترافع عنك.. ده الأستاذ محمود عزمى.. تعرفه؟

ـ بس من كتاباته فى السياسة اليومية والسياسية الأسبوعية.

ـ قلت لى ايه بقى؟

ـ ح أوقف السلسلة علشان خاطرك.. مع إنى أقدر أعملها قضية كبيرة وألاقى محامين كتير زى محمود عزمى يقفوا جنبى.

وهذه واقعة اذكرها لمحمود عزمى.. الرجل الذى مثلنا دوليا فى أكثر من مؤتمر، والذى قدّره العالم قبل وفاته، وانتخبته لجنة حقوق الإنسان ـ إحدى لجان الأمم المتحدة ـ رئيسا لها، فكان أول عربى يتولى

هذا المنصب الكبير.. اذكر له كيف تطوع الدفاع عني دون سابق معرفة.. لأنه رآني على حق وصاحب حق.

رجل مرقّع..!

في الحقيقة كنت شبه منطو على نفسي، لا أعرف إلا من يلزمني العمل معرفتهم، ولذلك ندمت انني لم اكسب صداقة رجال من طراز محمود عزمي خلال فترة عملي في الصحافة.

وحتى في الوسط الفني كان هناك من يقرأ كتاباتي، أو يشهد مسرحياتي.. لدرجة إننا بعد موت سيد درويش قررنا الاستعانة بالملحن داود حسني، وذهبت مع الصديق محمود رحمي إليه لنتفق معه، فلما قدّمني إليه نظر إلى من فوق إلى تحت وقال لمحمود رحمي:

ـ انت بتستحمرني يا أستاذ رحمي.

ـ إزاي يا أستاذ داود؟

ـ بقى ده بديع خيري.

ـ أيوه هو.

ـ أبدا.. أنا شفت روايات بديع خيري، والرجل اللي يؤلف روايات زي دي لازم يكون كبير في السن ومرقّع.. لازم الأستاذ من طرف بديع خيري.. إنما موش ممكن يكون هو.

واقتنع أخيرا إنني بديع خيري بعد جهد جهيد.

طلاق بديعة

وأعود الى الحديث عن فرقة الريحانى.

بعد عودتنا من رحلة شمال أفريقيا، وجدنا بديعة مصابنى قد انفردت بالعمل وحدها وافتتحت صالة لتقديم ألوان من «الميوزيك هول».. وصادفت نجاحا أطمعها فى أن تسعى لطلب الطلاق من نجيب بمجرد وصولنا إلى القاهرة، وجاءت تقول له:

ـ طبعا ما فيش أمل فى رجوعنا لبعض؟

ـ طبعا، بعد ما سبتينا فى وهران بالطريقة اللى سبتينا بها.

ـ لوم نفسك على اللى عملته الأول.

ـ ما فيش لزوم.. إنتى عاوزه إيه دلوقت؟

ـ الطلاق.. إيه رأيك؟

ـ أنا مستعد بس أنا كاثوليكى وما فيش طلاق عند الكاثوليك

ـ أنا مستعدة أرجع ارثوذكسية زى ما كنت بس تساعدنى فى خلق سبب للطلاق.

ـ قوى.. مستعد أوافقك لو اتهمتينى بإنى عشير نساء وأجيب لك شهود على كده زى ما انتى عايزه.

واتفقنا.. وقبلها نجيب تهمة على نفسه ليشفى جرحه من بديعة.. وتم الطلاق، على أساس أن نجيب غير أمين على الزوجية.

المسرحية التى كتبناها فى قسم البوليس..!

اقترحت على نجيب أن نسافر إلى قبرص، بعد أن أغريته بجمال وهدوء ورخص الاصطياف هناك. وسافرنا.. ونزلنا فى «فندق بلانيرس» الذى كان فاروق يتخذ منه عشاً يلتقى فيه بكاميليا ممثلة السينما، التى ماتت فى حادث احتراق الطائرة المشهور منذ سنوات.

وراق لنا الجو، وبدأنا نكتب مسرحيتنا المعروفة «استنى بختك».. واخترنا مكاناً للكتابة مقهى صغيراً يجاور قسم البوليس.. وتعرّفنا على المأمور والضباط والعساكر.. كانوا يقبلون علينا، ويجلسون حولنا يشربون الزبيب، ويأكلون الفاكهة، ويرقصون على أنغام إسطوانات جراموفون يملكه أحدهم.. وشاءوا أن يوفروا لنا خلوة للكتابة، فأعدوا لنا غرفة المأمور. وطيلة الشهر ونصف الذى قضيناه هناك لم يدخل قسم البوليس متهم واحد.

وتعرفنا بشاب يونانى اسمه «بيلارس» أخرس أصم.. وكان مجنونا بنظم الشعر باليونانية بالطبع، ويقبل علينا يحمل آخر قصائده ومعه مترجم، مصرى اسمه «الديب» صاحب محل سيارات فى القاهرة، وكان يجيد الحديث باليونانية، ويأتى للاصطياف كل صيف فى قبرص.. فيترجم لنا الديب قصائد بيلارس، وما علينا أنا ونجيب إلا أن نمصمص بشفاهنا استحسانا ، فيدرك بيلارس هذا التقدير من جانبنا بعينيه، ويخدمنا بروحه وبكل جهده بالمقابل، وتعرّفنا أيضا بطباخ لبنانى، كان طباخ الملك حسين ملك الحجاز، ثم جاء إلى نيقوسيا وفتح

مطعما لحسابه، ووجدنا عنده غذاء بطوننا. وأنقذ هذا الطباخ روحى يوماً ما.. كنت قد خرجت فيه وحدى إلى إحدى الحدائق العامة، وجلست أقرأ كتاباً على أحد المقاعد.. وإذا بشاب يبدو من مظهره أنه يونانى يجئ ويسلم علىّ بلا كلام ويجلس إلى جانبى بلا كلام أيضاً.. ولكننى لاحظت أن عضلات وجهه تتقلص بشكل مثير غير عادى، ثم بدأ يتحدث حديث خرف باللغة اليونانية التى لاأفهمها.. ثم صخب وضجّ فأدركت إنه مجنون.. وجمد دمى فى عروقى وأنا لا أستطيع القيام خشية أن يسىء ذلك إلى الشاب المجنون جليسى.. وبينما أنا فى شدة الخوف والحيرة ساقت الأقدار إلىّ صاحب المطعم.. الطباخ اللبنانى.. لينقذنى بالحيلة من الشاب الذى يعرفه بالطبع..

وأتممنا كتابة مسرحيتنا «استنى بختك».. وعدنا الى القاهرة لنجد البخت فى انتظارنا بالفعل..!

الفصل الثامن عشر

اللهم اجعله خيراً
حلم نجيب الريحانى

جاءنى نجيب ذات صباح متهلل الوجه منطلق الأسارير وقال لى:

ـ اسمع يا بديع.

ـ نعم.

ـ أنا حاسس إننا على أبواب انتصار عظيم.

ـ إيه. أنت بتقرا الطالع؟

ـ لأ.. حلمت. وأنا حلمى ما ينزلش الأرض

ـ حلمت بإيه؟

ـ أمبارح حلمت إنى وأنا قاعد لقيت النور انطفا، فقمت ألطش فى الضلام، ويصيت لقيت المرحومة أمى قدّامى ، وبتقول لى «ماتخافش

يا نجيب ماتتخضش. النور أهو، وأضاء النور على الفور.

ـ خير إن شاء الله.

ـ بإذن الله خير.

وبعد ثلاثة أيام كان «ناحوم» صاحب مسرح ريتس بشارع عماد الدين يبحث عنا. وكان قد أجر هذا المسرح من صاحبه الأصلى عادة لمدة خمس سنوات، ولايجد فرقة تعمل عليه. ولما التقى بنا عرض علينا العمل بفرقتنا على مسرحه، وأنه سيتكفل فى البداية بكل المصروفات، ثم يسترجعها من الإيراد.. وفاجأنا بأن أخرج من جيبه أوراقاً وقال لنا:

ـ أهو الكونتراتو.. جاهز.

قال له نجيب:

ـ بس لى شرط واحد.

ـ إيه هو؟

ـ نغير اسم المسرح.. ح أسميه مسرح الريحانى..

وقد كان.. ومن يومها وهذا المسرح باق باسم «مسرح الريحانى».

وكان المسرح الجديد مفتاح السعد على نجيب.. وإن كان قد عرّضه يوماً لخطر الموت.. فقد تعرّف نجيب بزوجة ناحوم صاحب المسرح «فيكتورين» وكانت الحب الكبير الوحيد فى حياته، وارتبط معها بعلاقة

ظلت فى الخفاء فترة حتى نمى خبرها إلى زوجها.. فترصد لنجيب ومعه مسدسه ليقتله، لو لم يصل خبر ترصده هذا لنجيب يحتاط وينجو.. ثم سافر ناحوم بزوجته إلى بيروت حيث مات، وعادت هى إلى القاهرة، وبقيت إلى جانب نجيب تحنو عليه وتخلص له الحب، وكان على وشك أن يكافئها بالتزوج منها.. لو لم يدركه الموت.

مغامرة رحلة لاستامبول

اتفقنا انا والشيخ زكريا أحمد على قضاء جانب من الصيف فى ذلك العام فى استامبول.. انا للفسحة، وهو للفسحة ولدراسة الألحان التركية فى موطنها.. وأعددنا عدة السفر، وحجزنا تذاكر السفر بالباخرة. وحان موعد الرحيل، وإذا بزكريا احمد يفاجأ بدعوة من شركة كالدرون لتسجيل بعض ألحانه، واضطر للبقاء، على أن يلحق بى فى استامبول بمجرد أن أبرق له بوصولى ومكان نزولى.

وأبحرت على ظهر باخرة اسمها «ريجى كارول»... ووصلنا الى بيريه ميناء اليونان، وقال لنا ضابط الباخرة الأول:

ـ فى استطاعة من يحمل منكم جوازاً مصرياً النزول فى بيريه والفرجة فى أثينا، وأمامكم ٤ ساعات حتى نواصل رحلتنا إلى استامبول.

وكنت قد تعرّفت برفيق سفر ظريف وأديب، مصرى أيضا.. فقلت له:

ـ هيا بنا ننزل هذه الساعات فى بيريه.

ـ لاأستطيع يا صاحبى، لأننى أحمل جوازاً تركيا.

ـ ولماذا لاتستبدله بجواز سفر مصرى.

ـ لأن لى مصالح فى تركيا.. لى وقت أسافر من أجله إلى استامبول ثلاث مرات فى السنة.. معلهش، اتفضل انزل أنت. وأنا ح استناك، وان شاء الله نكون مع بعض على طول فى استامبول.. دى أول مرة نزورها واسمح لى أكون دليلك فيها.

ـ كان يسرنى تنزل معايا.

ـ ياريت.. انزل انت ماتعطلش نفسك وأنا مستنيك.

ونزلت من الباخرة، وعلى رصيف الميناء سمعت من يناديني بالعربية وباللهجة المصرية:

ـ يا أستاذ بديع .

وتوقفت، والتفت إلى مصدر الصوت، فإذا بى أرى شاباً أرمينياً كان يشتغل فى القاهرة، سائقاً عند عباس باشا الدوملى، ومن هنا عرفنى دون أن أنتبه إليه، وسألنى:

ـ إيش جابك هنا؟

ـ أنا هنا فى الميناء، زى ترجمان.. ايش جاب سيادتك؟

وحكيت له، فقال لى:

ـ كويس.. انت معايا النهارده افرجك على الاكروبول وعلى كل حاجة.

وذهبنا فتناولنا الغداء فى احد المطاعم، ثم طاف بى فى جولة فى اثينا، وفى النهاية جلسنا فى مقهى من المقاهى نستريح، حتى اصبحت الساعة منتصف الخامسة فقلت لصاحبى:

ـ ازف وقت العودة الى الباخرة.. اسمح لى.

وعدنا إلى الميناء، وكان جواز سفرى محجوزاً عند بوليس الميناء ومعى قطعة من النحاس عليها رقم بدل الجواز، وقدمت هذه النحاسة الى حارس بوابة الميناء فسألنى عن اسم الباخرة، فذكرتها له، وإذا به ينظر الى نظرة ريبة وتفحص ويقول لى:

ـ الباخرة التى تذكرها أبحرت من ساعة.

ـ كيف؟.. إن موعد إبحارها الخامسة.

ـ من الذى قال لك هذا؟

ـ ضابط الباخرة الأول.

ـ لابد إنك لم تسمع جيداً.

ـ وماذا افعل الآن؟

ـ أمامك ٢٤ ساعة، إما أن تبحر فى باخرة أخرى، أو نضطر لاعتقالك.

ـ وكيف أتصرف وملابسي وأمتعتى ودفتر شيكاتى فى الباخرة التى أبحرت.

ـ هذا ليس شأننا.

وعدت إلى الشاب الارمنى استعين به على الخلاص، فأخذ يطوف بى على مكاتب شركات البواخر، حتى اهتدينا أخيراً إلى الباخرة الوحيدة التى تبحر إلى استامبول قبل انقضاء الأربع وعشرين ساعة، وكانت باخرة صغيرة حقيرة تنقل الجلود والزبيب وغيرها من البضائع، وفيها مكان كالزريبة لبضعة ركاب محدودين بأجر رخيص جداً .. وقال وكيل الشركة «شركة بابا جالوس » التى تتبعها هذه الباخرة.

ـ إن الرحلة من هنا إلى استامبول تستغرق سبعة أيام، لأنه يطوف بكل الجزر اليونانية التى فى الطريق.

ـ كيف.. وباخرتى كانت ستصل بعد يوم ونصف.

ـ طبعا لأنها تسير مباشرة إلى استامبول.. ما رأيك؟

ـ وهل هناك رأى، سأسافر على باخرتكم فليس أمامى سواها.. هى أو السجن.

وحجزت مكاني فى باخرة الزبيب والجلود. وخرجت من مكتب الشركة لأرسل برقية إلى مكتب شركة البواخر التى تتبعها باخرتى الأولي ليحجزوا لى أمتعتى بمجرد وصول الباخرة إلى حين وصولى، بعد أن لعب الفأر فى عبى من ناحية رفيق السفر صاحب جواز السفر التركى.

وأخذت أعد الساعات والدقائق والثوانى حتى حان موعد رحيل باخرتى.. وصعدت إليها لأجد نفسى بين حثالة من الركاب... ولكن كان بينهم سيدة تركية جميلة قالت أنها كانت متزوجة من محام أمريكى وسافر بها إلى نيويورك ثم غدر بها هناك وطلّقها، وأضطرت إلى العودة إلى بلدها استامبول كأسوأ ماتكون العودة، وكانت خير من فى رفاق السفر، الذين كان لا هم لهم إلا معاقرة بنت الحان، والرقص، والغناء. وشاءت أن تؤكد لى حكايتها، فأخرجت من حقيبتها جريدة أمريكية منشور فيها خبر طلاقها تحت صورة لها هى ومطلقها لأمريكى، وعرضت على أن تكون هى الأخرى دليلة جولتى فى استامبول.

ولذلك تركت لها اختيار الفندق الذى أنزل فيه فى استامبول بعد أن وصلنا، فاختارت فندقا لا بأس به اسمه «فندق لكسمبورج».. وأول شئ فعلته أن أرسلت برقية إلى زكريا أحمد أنبئه بوصولى واسم الفندق، وكان مفروضا أن أرسل إليه هذه البرقية من ثلاثة أيام لو كنت وصلت بالباخرة الأولى.

وليلة وصولنا كانت استامبول مزدانة بالأعلام والأنوار استعدادا لاستقبال الغازى مصطفى كمال، وقد أعدت حفلة ساهرة كبرى في فندق بيرا بالاس، واستطاعت الصديقة التركية أن تدبّر لنا بطاقتين لمشاهدة هذا الحفل، ولاأدرى كيف ومن أين دبرتهما.

ومرت الأيام وأنا أتبعها من مكان إلى مكان فى استامبول، حتى أكتشفت يوماً أنها تظن بى ثراء وتطمع فى الزواج منى، وأخذت تتودد إلىّ بشكل ظاهر مكشوف، فعولت على الهرب بنفسى منها. واستيقظت صباح يوم فلم تجدنى فى الفندق، وسألت موظف الأستقبال عنى فقال لها:

- لقد رحل إلى كونستانزا فى رومانيا.

بينما كنت قد أنتقلت إلى فندق آخر بعيد فى استامبول.

ومرت أربعة أيام، وكنت قد رأيت كل مايراه السائح فى استامبول، وقررت العودة إلى القاهرة.. ومرت الباخرة فى العودة بميناء بيريه.. وتقابلت مع الباخرة القادمة من القاهرة وأنا لاأدرى أن بين ركابها زكريا أحمد وهو لايدرى إننى بين ركاب باخرتى.

ووصل إلى استامبول، ولم أكن فى انتظاره بالطبع.. وهو مطمئن، إذ أرسل لى برقية قبل مغادرته القاهرة أننى سأكون فى الانتظار.. وركب سيارة وقال لسائقها:

- لكسمبورج.

وذهب به السائق إلى كباريه اسمه لكسمبورج، نفس اسم الفندق. وكانت حيرة، وزكريا لا يتكلم التركية ولا أى لغة أجنبية.. ولو لم يسق إليه القدر رجلاً تركياً يتكلم العربية لكان موقفه تأزم وتأزم، وأرشده هذا الرجل إلى الفندق. وهناك وجد الصديقة التركية التى اوسعتنى ذماً

وطعناً.. وذهب يستعلم عنى من القنصلية المصرية، ولحسن حظه كان سكرتير القنصلية وقتئذ المرحوم الفنان سليمان نجيب، وكان يعلم أننى سافرت، فأخبر زكريا، وقال له:

- ماتخافش أنا بدل بديع ح أفرّجك على كل حاجة. ومن حُسن حظك لك زميل عزيز هنا، مصطفى بك رضا مدير معهد الموسيقى العربية.

وقضى الشيخ زكريا أياماً لطيفة حافلة فى استامبول، وعاد إلى القاهرة يحمل لى رسالة كتابية تحية وتقدير من سليمان نجيب، ورسالة شفهية سباً وطعناً من الصديقة التركية.

كمال سليم عبقرية احترقت

لعلنى المؤلف الوحيد الذى اشتغل فى السينما وهى صامتة قبل أن تنطق، فى فيلم المندويان الذى عرض فى سينما كوزمو. وكتبت بعد ذلك سيناريو وحوار نحو ٦٠ فيلماً. ولما قرر ستوديو مصر إخراج فيلم «العزيمة» وعهد إلى المخرج المرحوم كمال سليم بإخراجه، طلب من مدير الأستديو المرحوم أحمد سالم أن أتعاون معه فى كتابة سناريو وحوار الفيلم.

وكنت أعرف كمال سليم، ابناً لعبد الغنى سليم عبده من أكبر تجار مصر الأثرياء فى ذلك العهد، وكانت تجارته تمتد إلى دمشق وطهران، ومازال على اسمه شارع سليم عبده فى العباسية. وكنت أعرف عن كمال سليم من كلام الناس أنه متكبّر ومعتز بنفسه جداً، ولذلك يكرهه

جميع من يتعاملون معه، وكانوا يسوقون مثلاً على شذوذه عن الناس كلهم أنه لا يضع فوق رأسه طربوشاً، فى وقت كان الطربوش فيه يعلوا كل رأس فى مصر. ولذلك لما اتصل بى المسؤولون فى الاستديو معرضون علىّ التعاون مع كمال سليم اعتذرت بمشغوليتى، وأنا فى حقيقة الأمر أريد الابتعاد عن كمال سليم ،خشية الاصطدام به، وجرح أحساسى الذى أحرص عليه ألا يمس.

وإذا بى أفاجأ فى مساء اليوم الذى اعتذرت فيه بكمال سليم يطرق باب بيتى، ودخل يقول:

- معذرة لأننى جئتك بلا سابق معرفة.

- أهلاً وسهلاً.

- بلغنى أنه طلب منك التعاون معى فاعتذرت؟

- هذا صحيح.

- لابد أن عندك أسباب؟

- أيوه .. عندى فيلم مع توجو مزراحى، وعندى مسرحيات الريحانى، وأشغال ثانية.

- دى موش الأسباب.. الحقيقة أنت عندك فكرة وحشة عنى.

- أبداً.

- هو كده .. بس الفكرة دى غلط، لأنى ماأحبش أمسح جوخ لحد أو

أختلط بالناس الاختلاط اللى أنت عارفه.. أرجوك تتعاون معايا وح تعرف أخلاقى على حقيقتها.. إيه رأيك؟

- كفاية أنك جيت بيتى.. وهو كذلك.

وقبلت التعاون مع كمال سليم، وبدأنا العمل، وقطعنا شوطاً طويلاً فى تصوير الفيلم، وإذا بأمر من رئيس مجلس إدارة بنك مصر الذى يتبعه استديو مصر «عمر سلطان» وعضو مجلس الإدارة المنتدب «طلعت حرب» بوقف العمل فى الفيلم والعدول عن إنتاجه.

الفصل التاسع عشر

أقنعت طلعت حرب بالجزار والحانوتى..!

ما أن بلغنى نبأ وقف العمل فى فيلم العزيمة والعدول عن إنتاجه، حتى طرت إلى طلعت حرب وسألته:

ـ إيه حكاية فيلم العزيمة ياباشا؟

ـ بيقولوا إن مستواه بلدى ولايليق بسمعة مصر.. مطلّعين فيه جزار وحانوتى.

ـ دى نماذج شعبية عايشة حوالينا، واحنا بنظهر أنبل ما فى أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم.

ـ ازاى نواجه الإنتاج الأمريكانى بفيلم زى ده؟

ـ بالعكس المطلوب من أستديو مصر أنه يخالف الإنتاج الأمريكى إحنا مانقدرش نزاحم إنتاجهم، إنما نقدر نمتاز عنهم فى اللون الشرقى

الصميم بتاعنا اللى بيعجزوا عن تصوير بيئته وبيطلعوه بمظهر ظالم وغير مشرف لنا.

- أنت فاهم يابديع خطورة الموضوع، بالنسبة لأن أستديو مصر أستديو للإنتاج النموذجى الرفيع من يوم ما أنشئ.

- على أى حال خلى العزيمة تجربة، ولو فرضنا أسوأ الفروض.. الأستديو بينتج كذا فيلم فى السنة وموش حاجة فيلم منها يفشل..

ومازلت به حتى اقتنع وأصدر أمره بمواصلة العمل فى الفيلم وعُرِض.. وحقق نجاحاً ساحقاً مازال حياً ماثلاً إلى اليوم، ودعانا طلعت حرب، كل من اشترك فى إنتاج الفيلم إلى وليمة كبيرة فى بيته، وقدّم لكل واحد منا مظروفاً به مكافأة سخية، علاوة على أجور عملنا فى الفيلم، وقال للزملاء:

- لولا بديع أقنعنا ماكانش الفيلم ده شاف النور.

وكان فيلم العزيمة شعلة من عبقرية كمال سليم، وكان سبباً فى صداقة وطيدة عزيزة ربطت بيننا، وإيذاناً بتعاوننا معاً فى أفلامه التالية «إلى الأبد» و«البؤساء» و«حنان». وكان كمال عبقرية فذة من العبقريات التى تحترق ولاتعيش. اكتشفت يوماً أنه يدرس الموسيقى ويتعلم النوتة فسألته:

- مالك ياكمال وانت مخرج سينمائى ومال الموسيقى والنوتة؟!

- افرض الفيلم اللى بأخرجه فيه ألحان وملحن يعمل لى لحن مايعجبنيش لازم أكون عارف أصول الموسيقى كويس وأناقشه مناقشة العالم موش الجاهل علشان يحترمنى ويحترم رأيى.

واكتشفت مرة أخرى أنه يدرس قواعد الرسم والتصوير الفنية، ولما أبديت له عجبى هذه المرة أيضاً قال لى:

- لازم لما أكلف رسام بإعداد ديكور أكون متخيله تمام فى ذهنى، وأناقشه كويس فيه، ومايقدرش يقول لى إنى مابأفهمش فى قواعد الرسم لو عدلت له فى تصميمه.

ولم يعش كمال سليم.. واحترق كما تحترق كل عبقرية فى عنفوان تأججها.

محاولة لبديعة

جاء الوقت الذى ضاقت فيه بديعة مصابنى بعملها فى صالتها، وارتد إيها عقلها، وأرادت السعى لتعيد المياه إلى مجاريها بينها وبين نجيب الريحانى، فجاءتنى، وقالت لى:

- يابديع أنا ونجيب اتقدمنا فى السن، وأنا عملت قرشين كويسين، وعاوزه أرجع لنجيب، وأنت صديق الطرفين، فاتوسط بيننا علشان نصطلح.

- بصراحة ما أقدرش أجيب له سيرتك، لو سمع اسمك بيتنطط ويتجنن وانتى عارفة راسه ناشفة قد إيه.. حكاية وهران ما بتطلعش من دماغه أبداً.

- طيب أنا عندى فكرة انتم بتكونوا موجودين فى التياترو امتى؟

- الظهر كل يوم.

- طيب أناح آجى بكره على غفلة، وأفتح عليكم باب المكتب فى التياترو وتبقى مفاجأة، ويلاقى نجيب نفسه أمام الأمر الواقع، وتتدخل أنت وتبقى رسول السلام بيننا.

- زى ماتشوفى. وعلى مسؤوليتك.

وقد كان.. ودخلت علينا بديعة ظهر اليوم التالى فى مكتبنا بمسرح الريحانى، وكنت لم أنبئ الريحانى بشئ خشية ثورته مقدماً. وكاد أن يضعف مع المفاجأة المدبرة لو لم تقل له بديعة:

- أنا دلوقت عندى فلوس، وتقدر تستند على فلوسى.

فانفجر فى وجهها كالبركان وصاح فيها:

- انتى بتغرينى بالفلوس وعاوزانى أعتمد على الفلوس اللى جبتيها من طريق انتى عارفاه وأنا عارفه.. يا.. يا.. يا..

واندفع يشتمها فى ثورة لا تهدأ ولاتخمد.. حتى انسحبت من أمامه كما جاءت.. ولم يلتقيا منذ ذلك اليوم.

إلا أن بديعة عاودت مسعاها.. وهذه المرة بعد أن مات نجيب، وطمعت فى ميراثه، فطعنت فى طلاقها منه بأنه كان طلاقاً فاسداً ، وأن البطرخانة بنته على أساس واه.. رفعت قضية تطلب فيها بطلان هذا الطلاق، ولكن المحكمة رفضت دعواها.. فعادت ورفعت قضية

أخرى تطالب فيها بإثبات بنوة ابنتها المتبناه جولييت «ليلى الشقراء» من نجيب، مع أنها كما كان معروفاً قد تبنتها فى بيروت خلال إقامتها هناك، وحكم أيضاً برفض هذه الدعوى.

نجدة من باريس

صادفتنا أيام ضنك من جديد.. ولكن هذه الأيام لم تطل، وجاءتنا نجدة من باريس، دعوة من شركة جومون السينمائية للاشتراك فى إنتاج فيلم عربى تغزو به الشركة سوق الأفلام العربية وسافرنا إلى باريس..

واكتشفنا الحكاية..

كان يعيش فى باريس وقتئذ إميل خورى رئيس تحرير جريدة الأهرام السابق، بعد أن نفته الحكومة لمعارضته الاستعمار الإنجليزى بشدة وبأس، فاشتغل بالتجارة فى باريس ووفق كل التوفيق، ثم ساهم فى شركة جومون، وكان الفيلم العربى فكرته، كما كان هو الذى اقترح اسمى واسم نجيب الريحانى.

وقضينا الأيام الأولى فى التجول بباريس، والتعرف بشخصيات مجتمعها، وتعرفنا على سيدة غنية اسمها «مدام كول» كانت مغرمة جداً بالتعرف بكل فنان أجنبى يزور باريس من أى جنسية كان. واحتفت بنا وأكرمت وفادتنا، وعرّفتنا بفنانى بلدها، وعلى رأسهم الفنان الكبير «فيكتور بوشيه»، الذى دعانا ليلة لنشهد إحدى مسرحياته، وذهبنا، وفوجئنا بأن دور فيكتور بوشيه يكاد يكون ثانوياً، وأنه لا يظهر على

المسرح أكثر من أربعة مرات، وكل مرة لاتستغرق أكثر من خمسة دقائق، فى مسرحية المفروض أنه بطلها. وعقب إنتهاء التمثيل زرناه فى مقصورته بالكواليس، وسألنا:

- إيه رأيكم فى الرواية؟

- عظيمة، بس كنا نطمع نشوفك فى دور كبير بطول الرواية.

- اسمعوا أنا رجل جاهدت واشتغلت لغاية ما وصلت وأصبحت موضع ثقة وتقدير الجمهور، واللى عمله فىّ أساتذتى أصحاب الفضل علىّ لغاية ماكبرونى لازم أعمله بالمثل مع زملائى الممثلين الناشئين وأكبرهم بدورى.. وعلشان كده بأحد من ظهورى وبأقتطع من أدوارى.

وأكبرنا هذه الروح السامية لفنان كبير.. ومضى فيكتور بوشيه يسألنا:

- انتم بتشتغلوا فى أيه؟

- الكوميديا والأوبريت والفارس.

- عجيبة، يعنى ما فيش تخصص عندكم؟

- الكلام ده هنا فى فرنسا، إنما فى مصر الناس ملولين، والرواية اللى تقعد شهر تعمل رقم قياسى، وعلشان كده لازم تغير دائماً.

- بالشكل ده عاملين كم رواية؟

- خمسين.. ستين.

- ياسلام! مارسيل بلانيول عايش بثلاث روايات بس، وتاجر المجد وماريوس.

انقذتني الشمس

قدمنا أميل خورى إلى مخرج الفيلم «جورج فوشيه» الذى استقبلنا بكل احتقار، وكل عامل بسيط فى الأستديو كان ينظر لنا نظرته إلى حشرات تسعى على الأرض، والعذر معهم إنهم كانوا لايستقبلون الا حثالة المغامرين العرب الفارين من بلادهم، وكنا أعددنا قصة الفيلم الذى سميناه «ياقوت أفندى» قصة مصرى تزوج من فرنسية، ومفارقات ومآزق هذا الزواج.

وبدأ إخراج الفيلم. ولاحظنا من المخرج ومساعديه وعماله تراخياً فى إجابة طلباتنا، لدرجة أن أشرنا بإعداد لافتات أسماء شوارع وأرقام البيوت المعروفة عندنا فى القاهرة، فرفضوا إعدادها. وكنا قد اتفقنا مع أميل خورى على استدعاء ممثلى فرقتنا من القاهرة لتمثيل أدوار الفيلم، فإذا بالشبان العرب الموجودين فى باريس يعلمون بالأمر، ويتقدمون إلى الشركة عارضين التمثيل فى الفيلم بأى أجر، ووجدتها الشركة فرصة لتخفيض ميزانية الفيلم. وكنا أنا ونجيب مضطرين إلى الموافقة على طول الخط للضنك الذى كنا فيه.

وجاءوا لنا بالشبان المتقدمين للاشتراك فى تمثيل الفيلم، وأخذنا نجرّبهم وندربهم، ومن الطريف أن أنجحهم كان شابا نوبياً يشتغل «سفرجيا» فى سفارة إيران بباريس.

وكان فى الفيْلم دور لمغربى يقرأ الطالع. وجاءوا بشاب مصرى اسمه «بولص» هاجر من سنوات إلى باريس، واشتغل وكيلا لمحام فرنسي، وتزوج من فرنسية، وأنجب منها أولاداً، واستقر به العيش فى باريس وكان لائقا لتمثيل الدور شكلا، إلا أن لهجته العربية لم تكن تصلح أبداً للتمثيل، وعبثا حاولنا تقويمها وإصلاحها، وكنت أنا الذى أقوم بهذه المهمة، وكنا قد مضينا شوطاً بعيداً فى إخراج الفيلم وتبدلت نظرة المخرج ومساعديه وعماله إلينا، لما رأوا تمثيل نجيب وفن نجيب. وأخذوا رؤوسهم إكباراً له، وأخذوا يتسابقون فى إجابة طلباته وتنفيذ توجيهاته.

وحان موعد تصوير دور المغربى وسألنى نجيب:

- ح نعمل إيه فى الدور ده؟

- لازم نشوف له واحد تانى.

- وبولص؟

- مافيش فايده معاه، ما ينفعش أبداً.

- وح نجيب واحد ثانى منين، ما بقاش فاضل حد.

- طيب وأيه العمل يا نجيب؟

- تمثل انت الدور.

- أنا؟!

أيوه أنت. وفيها أيه يعنى؟

- خلاص اللى تشوفه.

ومثلت دور المغربى قارئ الطالع. وتصادف فى أحد الأيام التى كنت أمثّل فيها هذا الدور أن كان هناك زوار كبار فى الأستديو يشهدون تصوير الفيلم، وكان بينهم سيدة أرستقراطية جميلة مشهورة فى المجتمع الفرنسى اسمها مدام ديلاج،..

وكانت معروفة بالتهوس فى الاعتقاد بالفأل وقراءة الطالع، فلما رأتنى أمثل دورى أمامها مالت على نجيب الريحانى الذى كان يجلس إلى جانبها، وسألته:

- الممثل ده مغربى؟

وأراد نجيب أن يتحفنى بمقلب، فأجابها:

- أيوه، مغربى صمم.

- بيعرف يقرأ الطالع صحيح؟

- أمال.

- جايبينه منين؟

- من مراكش.. ده مكلفنا دم قلبنا، وقارفنا خالص، ما ينزلش إلا فى لوكاندات درجة أولى، وما ياكلش إلا أكل مغربى.

- المغاربة دول مشهورين فى ضرب الرمل وقراءة الطالع.. ممكن يقرأ لى الطالع بتاعى؟

- جربى. بس ده طالع فيها خالص زى ما قلت لك.

وما كدت انتهى من تمثيل دورى حتى تقدمت منى مدام ديلاج تهنئنى برقة ولطف، وتقول لى:

- أنا عاوزه ميعاد

- علشان أيه يا مدام؟

- علشان تقرأ لى الطالع.. أرجوك.

- طالع أيه؟ ده تمثيل يا مدام.

- اعمل معروف ما تضحكش على..

وحانت منى نظرة إلى نجيب، فرأيته متهالكا على نفسه من شدة الضحك، وفهمت المقلب، وأسعفنى البديهة بالرد الذى تخلص به منها، فقلت لها:

- معذرة يا مدام.. لا أستطيع أن أحدد لك موعداً لأننى أقرأ الطالع بالحساب على بروج الشمس. ولابد أن تكون الشمس مشرقة تماماً وأنا أجرى هذه الحسبة.. فى خدمتك يا مدام.

وانسحبت من أمامها، وتركتها مع خيبةأملها، إذ أن الشمس لم تكن تشرق أبداً على باريس فى ذلك الوقت، وقت الشتاء والثلوج..!

الفصل العشرون

القصر الذى مات نجيب على بابه..!

كنا فى الأسكندرية، نحيى خمسة ليال تعاقدنا عليها مع أحد المتعهدين، فى مسرح الهمبرا.. وبعد الليلة الثانية أحس نجيب فجأة بسخونة وضعف، وقال لى:

ـ أنا تعبان يابديع، وموش ح أقدر أكمل.. أدوا المتعهد فلوس وتعويض إن أراد كمان.. وأتاح أسافر بكره الصبح على مصر ارتاح فى البيت كم يوم.

وعاد إلى القاهرة وهو منهك القوة، ورقد فى فراشه فى سكنه بعمارة الايموبيليا، تمرّضه فيكتورين شريكة أيام حياته الأخيرة التى كانت تمرّضه بحنو الأم على ولدها، وأعاونها أنا وخادمته اليونانية الوفية كريستين، ويتولى العلاج الطبى الدكتور عمر الدمرداش. ولم تتحسن حالته وقال الطبيب:

ـ لابد من نقله إلى المستشفى.. فيه اشتباه تيفود.

ونقلناه إلى المستشفى اليونانى، وقال الطبيب بعد أن كشف عليه:

ـ الحالة دى لاعلاج لها إلا الأكرومايسين.

وكان الأكرومايسين مازال فى أول اكتشافه، ولا يوجد إلا فى أمريكا وأوروبا، ولم يصل بعد إلى مصر. وحرنا ماذا نفعل، ووصل الخبر إلى المرحوم مكرم عبيد وزير المالية وقتئذ، فساعدنا فى جلب الأكرومايسين بالطائرة من أمريكا، ولأول مرة يدخل مصر، وكان نجيب أول مريض مصرى يتعاطاه.

ويوم تعاطى نجيب أول جرعة من الأكرومايسين بقيت إلى جانبه حتى الثانية عشر ونصف ظهراً، وكان يبدو فى عافية وصفاء عندما تركته، وما كدت أصل إلى بيتى وأبدأ خلع ثيابى حتى دق جرس التليفون، وكانت المتحدثة كريستين خادمة نجيب وقالت لى بلهفة:

ـ تعال حالا عند سى نجيب.

ـ خير يا كريستين؟

ـ ولا حاجة. بس هو عاوزك.

وعدت إلى المستشفى، وأنا لا أتصور أبداً أن يكون نجيب قد مات.. ولكنه كان قد مات بالفعل، وتلطفت كريستين فى إبلاغى الخبر المفجع.. خبر ذهاب شريك العمر ورفيق الجهاد والكفاح والأخ الشقيق الوفى الحنون.. وفرّق القدر القاسى بيننا إلى الأبد بعد أن كنا لا نفترق لحظة.

وقيل أن نجيب مات نتيجة إهمال فى المستشفى.. نتيجة تجاوز جرعة الأكرومايسين..

قصر الشؤم

قدّر لنجيب ألا يدخل الفيلا الكبيرة الفخمة التى كان قد فرغ من بنائها، وأعدها لتكون عش غرامه وملاذ ما بقى من عمره هو وفيكتورين التى انتوى الزواج منها مكافأة لها على إخلاصها ووفائها له.

وهى صاحبة فكرة بناء الفيلا، فقد اقترحت عليه أن يكون له بيته الذى يملكه بدل التشتت فى مساكن بالإيجار، ومازالت به حتى اشترى ستة أفدنة جهة عرب المحمدى، أغراه أحد السماسرة بشرائها، وحاول أن يغرينى بشراء قطعة أرض تجاورها وبناء فيلا خاصة بى حرصاً على تلازمنا حتى فى السكن، ولكنى رفضت وقلت له:

- مستحيل أسكن فى حتة زى دى كلها قرداتية ومتشردين.

- واحنا مالنا ومالهم.

- هو ده جو سكن.. حد يسكن فى عرب المحمدى..!

ومضى هو فى البناء.. بنى قصراً صغيراً، فيه صالة أندلسية تكلفت وحدها ٧٠٠٠ جنيه، ومسرحاً صغيراً لإقامة الحفلات الخاصة، وفيه مصعد رغم أنه مكون من طابقين فقط. وكان يبنى هو وفيكتورين الآمال العراض الباسمة على الإقامة فى هذا القصر.. ولكن.. وتقدرون

فتضحك الأقدار.. فلم تكد أعمال التشطيب النهائية للقصر تتم حتى مرض نجيب مرضه الأخير، ومات.. مات دون أن ينام ليلة واحدة فى قصر أحلامه.. قصر الشؤم..

ولم يدخل هذا القصر أحد بعد نجيب الريحانى.. ومازال خالياً خاوياً..!

ووريث نجيب الآن هو ابن شقيقه الأكبر توفيق.. وكان لنجيب شقيقان آخران يوسف وجورج.. وكان الأخير أذكاهم وأكثرهم ثقافة، وكان شاعراً موهوباً، وكان وحده يعيش مع أمه، وكل واحد من أخوته يعيش وحده، وقد عاش فترة فى بيتى وقت أن كنت أقيم مع والدتى قبل أن أتزوج، وكانت والدته تزوره عندنا. وبعد أن ماتت أمه بشهر اختفى من الوجود، وأخذنا أنا ونجيب الذى يحبه حب الأب لابنه، نبحث عنه فى كل مكان، دون أن ندرى هل هو حى أو ميت، فلم نهتدِ إليه.. ومازال إلى الآن مجهول المصير. وعاش نجيب بحسرة عليه طول حياته، وكان من ضمن جراحه الكليمة التى كانت تغذى موهبة الدراما فيه عندما يمثل.

ليلة الأربعين

أحيينا ليلة الأربعين فى شقة نجيب الريحانى فى عمارة الإيموبيليا، واجتمع حولى ممثلات وممثلو الفرقة نتقبل العزاء من الأصدقاء والأحياء. وبعد انصرافهم اقترح الممثلون علىّ بإلحاح أن أواصل العمل معهم بألفاظ عاطفية رقيقة.

ـ أنت اللى باقى لنا .. أنت أملنا.

ومضوا إلى حد البكاء والتوسل، وقالت لى ميمى شكيب:

ـ يخلصك أن الظروف تحوجنى يوم من الأيام اشتغل فى صالة أو كباريه بعد كل السنين دى على المسرح.

وأمام اندفاعهم فى إبداء هذه الرغبة وتمسكهم بها، وإحراجى فى أن أقف منهم موقف الرجولة، وتفكيرى فى أننى لو استمعت إليهم فإننى أختط سابقة جديدة فى مسرحنا لم يسبقنى إليها سابق، إذ كانت العادة أن تنتهى الفرقة بموت صاحبها أو بإعتزاله العمل.. علاوة على إيمانى برسالة مسرح الريحانى التى عشنا أنا ونجيب نحتضنها، وننميها، وننشرها، ورغبتى فى أن تبقى حية مستمرة.. دارت كل هذه الأفكار فى رأسى واستخرت الله وقلت للزملاء الممثلات والممثلين:

ـ وهو كذلك.. سأتحمل المسؤولية.. ولنجتمع ظهر الغد فى المسرح.

وعقدنا هذا الاجتماع فى ظهر اليوم التالى. وأذكر بكل إعتراف بالجميل أن الزملاء عرضوا علىّ أن يشتغلوا بنصف المرتب الذى كانوا يتقاضونه أيام الريحانى، فقلت لهم:

ـ بالعكس.. لا يمكن أن أنقص مليماً من أى واحد منكم، لأنكم إذا شعرتم بغبن فلم تعملوا بنفس الإخلاص الذى كنتم تعملون به مع نجيب.. وأنا شاكر لشعوركم الطيب.. وستبقى المرتبات كما هى.

وبدأنا العمل. وكانت فترة البداية فترة عصيبة، فالجمهور مصدوم بفكرة وفاة نجيب، والمسرح يسوده جو قاتم لوفاة صاحبه، الذى كان يقف على نفس الخشبة، ويملأها بالحياة والمرح والفكاهة، وتكفى ذكرى الموت لقتل أى تأثير للفكاهة على النفس، وأخذ الجمهور المعتاد الأقبال علينا يتراجع أمام الذكرى الرهيبة، وعذره معه أن الأعصاب لا تطيق المكان الذى تخيم عليه رهبة الموت.وأخذ أصدقاء كثيرون لنا كلما إلتقوا بى يقولون معتذرين:

ـ ما تآخذناش يا أستاذ بديع.. موش قادرين نيجى.. أعصابنا موش مرتاحة.

وضممت للفرقة سراج منير، إذ كانت هذه رغبة الريحانى، منذ الليلة التى مثلنا فيها مسرحيتنا المعروفة «حكم قراقوش» فى نادى الضباط بالزمالك واستعنا بسراج منير ليمثل دور السلطان قراقوش، وكان بين الحاضرين سير سيمورهيكس زعيم المسرح الانجليزى، فأبدى إعجابه الشديد بتمثيل سراج، واقترح أن نقدم المسرحية فى لندن كلون من ألوان المسرح العالمى، على أن يتولى سير سيمور الدعاية لها هناك. وقرر نجيب منذ تلك الليلة ضم سراج إلى فرقتنا، ولكن لم تتحقق رغبته حتى مات، فحققتها أنا من بعده وفاء لذكراه، وظل سراج فى الفرقة حتى توفى إلى رحمة الله.

كما وفقت إلى ضم ممثل موهوب قديم آخر «مختار عثمان» نجم فرقة رمسيس الكوميدى، وكان قد اعتزل المسرح وأقام مدة اثنى عشرة

عـاماً فى قريتـه «ساحل سليم» قـرب أسيـوط يشـتـغل بالزراعة وتربيـة المواشى. وتمكنت من إقناعـه بالعودة إلى المسرح، وضممته إلى الفرقة وبدأ يمثل معنا فى مسرحية «الحكم بعد المداولة».

ومع ذلك أخذ الإقبال على الفرقة يقل، مع تناقص ثقة الجمهور بها، وظنه أنها بقايا الفرقة القديمة، وأنها لا يمكن أن تعيش أكثر من شهر أو شهـرين. وكنت أتحـمل الخسـائر وأنا آمل فى اسـترجاع الـثقة تدريـجياً عندما ينسى الناس الموت...!

الفصل الحادى والعشرون

لآخر لحظة..
أنقذتنا الأرض و الإعانة..!

لم أتراجع مع توالى خسائر الفرقة.. وزاد من متاعبى بداية تمرد من بعض الممثلين ومساومات لزيادة مرتباتهم، وهم الذين عرضوا من قبل التنازل عن نصف مرتباتهم وإلا تركونى إلى السينما أو إلى فرقة أخرى، وكانوا يرون فى استمرارى رغم الخسارة أننى أرى نفسى مضطراً إلى مواصلة العمل خشية فضيحة الفشل، وساعدهم على التمادى فى تمردهم أننى لست بصلابة الريحانى، وفى خلقى ضعف طيبة يمكن إستغلاله.

تحملت كل هذا، وأنا أقول لنفسى:

«كلما إشتد الظلام كلما اقترب بزوغ النجوم».

وأنفقت آخر قرش كنت أدخره، ولم يبق عندى سوى قطعة أرض فى المعادى كنت قد اشتريتها لأبنى عليها فيلا، وعُرِضَتْ علىّ بعد

شرائها فرص طيبة سخية لبيعها فرفضت فى كل مرة وأنا أترقب فرصة فراغ لأبدأ البناء، رغم إلحاح وإغراء السمسار. فلما استحكمت حلقات الخسارة حولى ذهبت إلى هذا السمسار وقلت له:

ـ الحقنى وبيع الأرض حالًا.

ـ ما أنا قلت لك من زمان مارضيتش.

ـ أدينى رضيت.

ـ بس لازم تسيب لى وقت لما نلاقى أحسن سعر.. دى تجارة وبيع وشراء.

ـ موش ممكن استنى. بيعها النهاردة ضرورى وبأى ثمن.

ـ خسارة ياأستاذ بديع.

ـ معلهش.. دى فلوس جت من الشغل وراحت على الشغل.

ـ أمرك.

وباع الرجل الأرض بأعلى سعر وصل إليه.. وكان سعراً بخساً بالنسبة لما عرض علىّ من قبل.

ومع ذلك، لم يكف ثمن الأرض لإنقاذ الموقف.. لولا أن ساق القدر إلىّ إعانة من اللجنة العليا لترقية التمثيل، إذ استدعانى رئيسها الدكتور محمد صلاح الدين، وقال لى أنه يعلم كل شىء عن سوء حال الفرقة من الناحية المالية، وسألنى:

- ناوى تعمل إيه؟

- سأستمر فى العمل مهما حدث، لقد تعودت إذا ما تحملت مسئولية أن أتحملها حتى النهاية.

- هذا ما نعرفه عنك. ولذلك قررنا إعانة ٣٠٠٠ جنيه لفرقتك.

ومع هذه الإعانة المجزية استطعنا أن نقف على أقدامنا، وأن نواصل العمل، حتى نسى الجمهور الموت، وعاد إلينا، وعوضنا بإقباله الجديد عن هجره القديم.

ولدى عادل

أصبح للفرقة جمهور جديد، يقبل على روايتها الجديدة، ويقدّر نجومها الجدد، وكان ابنى «عادل خيرى» أحد هؤلاء النجوم.

وقصة عادل مع المسرح تبدأ منذ صغره، منذ كان تلميذاً فى المدرسة الابتدائية.. كان يهوى التمثيل الكوميدى، ويغرم بقصقصة حافة طربوشه، وكبسه على رأسه، والتهريج به بين صحبة أولاد الجيران، وكانوا خليطاً من الأرمن والمصريين.

كان حى روض الفرج حيث كنا نعيش، وكنت أشترى له طربوشاً كل يوم فى بعض الأحيان. وكبرت الهواية معه حتى وصل إلى مرحلة التعليم الثانوى، فألف فرقة للتمثيل فى مدرسة التوفيقية التى التحق بها، وشجّعه ناظرها الأستاذ عاطف البرقوقى بحيث عقد للفرقة الفوز على باقى فرق المدارس الأخرى عدة سنوات متوالية. وفى نفس الوقت

كنت أنا رجل المسرح المجرب أحد من نهى عادل عن هوايته للتمثيل، حتى يتم دراسته، وهو حر بعد ذلك.

وعندما حصل عادل على التوجيهية، والتحق بكلية الحقوق، قال لي:

ـ أنا نجحت أهو، ودخلت الجامعة، اسمح لى بقى أمثل فى الفرقة بالليل وأدينى بالنهار فى الكلية.

ـ موش ممكن. لما تاخد الليسانس الأول.

ـ يا بابا..

ـ ولا كلمة..

واضطر إلى الإذعان، واكتفى بالفرقة التى كوّنها فى كلية الحقوق، والتى سببت له أزمة عارمة يوم فكر فى أن تقوم طالبات الكلية بالأدوار النسائية فى تمثيليات الفرقة بدل الإستعانة بممثلات من الخارج، واشتركت بالفعل طالبتان، «زينب لبيب» و«إيناس حقى» [٦]، فى إحدى المسرحيات، وكانتا أول طالبتين جامعيتين تقبلان على هذه الخطوة، وقامت قيامة الطلبة المنتمين للإخوان المسلمين، واستطاعوا تأليب إدارة الجامعة على عادل متهمين إياه بالاستهتار والخروج على التقاليد الجامعية والإسلامية. ولم ينج من هذه الأزمة العارمة إلا بمعجزة.

واجتاز عادل سنوات الدراسة الأولى والثانية والثالثة بكلية الحقوق بلا تقصير، وعاد يلح فى رجائه أن أسمح له بالاشتراك مع الفرقة،

فضعفت أمام إلحاحه، وأتحت له الفرصة ليمثل أدواراً صغيرة محدودة بالطبع، إذ لم يكن متاحاً له الظهور فى أدوار ذات قيمة مع وجود كبار الممثلين بحكم السبق والسن. ثم سنحت له الفرصة لأداء بعض الأدوار الكبيرة .وشيئاً فشيئاً وجد مكانه فى الفرقة، واهتدى إلى الشخصية التمثيلية الملائمة لموهبته والتى عرفه بها الجمهور وأحبه..

ولكن الموت كان بالمرصاد لموهبته، حتى نضجت فاقتطفها.. ومرة أخرى يفرّق القدر ما بينى وبين رفيق كفاحى الفنى.. فى المرة الأولى فقدت أخى نجيب الريحانى.. وهذه المرة فقدت ابنى عادل خيرى..

ومرة أخرى يخيم الموت على ممسرح الريحانى..

ولكنها إرادة الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

طلعت ابنى الرابع

كان لى ثلاثة أولاد ذكور(٧).. ولكننى كنت أعتبر «طلعت حسن» مدير الفرقة ابنى الرابع.. وطلعت حسن أصله موظف حكومى وهاو للمسرح، وكان يؤلف بعض المسرحيات القصيرة والاسكتشات، وعرفناه فى فرقتنا يوم استعنا به لكتابة مسرحياتنا على الآلة الكاتبة، ثم إكتشف فيه نجيب الريحانى إدارياً كنا فى أشد الحاجة إليه، فعيّنه مديراً إدارياً للفرقة، واعتزل طلعت منصبه الحكومى، وأعطى جهده ونشاطه كله للفرقة، فى إخلاص ونزاهة وأمانة مطلقة، واهتمام بمصلحة العمل يكاد يكون أكثر من اهتمامى أنا نفسى بالعمل.. هكذا هو معى الآن، وهكذا كان مع نجيب.. وحدث أيام الخسارة التى تحدثت عنها أكثر من مرة

أن كان طلعت حسن لا ينام الليل، ويعيش فى هم واكتئاب بحيث كنت أضطر أنا، صاحب العمل المنكوب أصلًا، إلى مواساته والتخفيف من همه...!

إن طلعت حسن هو الجندى الوحيد فى فرقة الريحانى الذى لم ينزل سلاحه أبداً، ولم يدر ظهره لها فى محنة، حتى عندما أدركه المرض نتيجة الإرهاق الشديد، كان يغافل طبيبه ويهرب من فراشه إلى مكتبه بالمسرح ليطمئن على أن العجلة تدور والقافلة تسير.

حكاية مسرح الأسكندرية

كان نجيب الريحانى يكره العمل فى الصيف، ويكتفى بموسم الشتاء. وكان فى بعض الأحيان يشتغل شهراً واحداً فقط ولا يزيده، فى مسرح لونابرك فى الابراهيمية. وبعد وفاته رأينا أن نجرّب العمل فى الصيف، طوال أشهره، فى الأسكندرية، فصادفنا نجاحاً جعلنا نقرر الاستمرار كل صيف. واستأجرنا فى البداية قطعة أرض فى الشاطبى، وأقمنا فيها مسرحا غير مبنى اسمه «مسرح النجمة».. الحوائط من الصاج والسقف من الخيام.. مثل مسرح الإجبسيانا فى عهده الذهبى. وكان الترخيص بالعمل على هذا المسرح فى يد الحكمدار، فلما تقدمنا إليه بطلب الترخيص، رفض وصمم على الرفض، مع ان المحافظ كان يشجّع المشروع، وأيدنا فيه منذ البداية باعتباره من صور الترفيه التى يحرص على ان تتوفر فى مصيفه الكبير لتشجيع الاصطياف

فيه. وكانت حجة الحكمدار العظمى فى عدم الترخيص بالمسرح أن السقف من الخيام، وهو عرضة بذلك للحريق.

وأسقط فى يدى، بعد أن أنفقت نفقات غير هينة على إعداد المسرح. وذهبت إلى المحافظ أشكو له ما حدث، وأقول له أنه لاداع للتدقيق فى الاشتراطات طالما أن المسرح صيفى ومؤقت، فهون الأمر علىّ، وقال لى:

- لا تخف.. سأصرح أنا بنفسى.. وسأحضر أنا وعائلتى حفل الافتتاح.

ولم يسكت الحكمدار، بل ثار وصمم على عدم الترخيص، ولكن أمر المحافظ تغلب وتنفذ.. واتضحت لى الحقيقة.. إن الرجلين كانا على خلاف مستمر، إذ كان المحافظ ينتمى إلى السراى بينما كان الحكمدار ينتمى إلى حزب الوفد الحاكم وقتئذ، وكان الخلاف بين السراى والوفد على أشده يومئذ.. وأصابنى رشاش هذا الخلاف.

وافتتحنا المسرح وكان المحافظ عند وعده، فشهد هو وأسرته حفل الافتتاح. ومرت الأيام بنجاح وتوفيق، إلى أن دعانا ذات يوم صاحب مصانع سباهى للنسيج، دعا الفرقة كلها، لزيارة مصانعه فى أطراف الأسكندرية. وذهبنا إلى هناك وقضينا اليوم كله فى حفاوة وترحاب، وفى نهاية النهار حمّلنا صاحب المصنع كل واحد منا هدية لطيفة من إنتاج مصانعه، وعدنا إلى الأسكندرية.. إلى المسرح مباشرة. وما كدنا نشرف عليه من بعيد حتى رأينا ألسنة اللهب تتصاعد من سقفه..

وطرنا إليه نشارك فى إطفاء النار ونحن ندق كفاً بكف، ونقول:

ـ عملها الحكمدار..!

وأنقذنا ما أمكن إنقاذه.. وواصلنا العمل إلى نهاية الموسم، بشرط ألزمنا به الحكمدار، أننا لو عدنا فى الموسم المقبل لابد من أن نبنى المسرح ونغطى سقفه حسب الاشتراطات التى تنص عليها اللوائح..

ولكننا فى الموسم التالى حسبنا تكاليف بناء المسرح، وتغطية سقفه، فوجدناها باهظة فضلا، عن أن صاحب الأرض أراد زيادة إيجارها قائلا أنه يريد أن يبنى عليها عمارة.. واستأجرنا سينما كليوباترة على شاطىء كليوباترة.. وكانت لا تصلح لأن تكون مسرحاً بالمرة.. وقضينا الموسم كيفما كان، وقررنا بناء مسرح خاص بنا.

وكان أن اشترينا قطعة أرض فى كامب شيزار، وكان مكانها ملهى البل فى أكبر ملهى فى عهده فى الأسكندرية، وبنينا مسرحنا الخاص القائم الآن، بجهودنا الفردية، وراعينا أن يكون بناؤه على غرار مسرحنا فى القاهرة. وكفانا الله شر الاشتراطات واللوائح.

وسارت القافلة، وستظل تسير إلى آخر لحظة فى حياتى..

توقيع بالدموع

واليوم وقد إنتهينا من كتابة هذه المذكرات لم نكن ننتظر أن نوقعها بدموعنا.. دموعنا على عادل خيرى..!

عادل ولدى الذى كنت أدخره ليتسلم من بعدى مسرح الريحانى، ويرعى أبناء مدرسة الريحانى.. وليواصل السير بالقافلة ،من بعده ولده، حتى لا تنطفىء أبداً أضواء مسرح الريحانى.

ولم يكن خير ما سأورث عادل المسرح أو المال.. بل الحكمة التى حرصت عليها طول حياتى:

"كلما اشتد الظلام كلما اقترب بزوغ الفجر"

ولكن أى فجر أرجوه الآن وقد ذهب عادل..

إننى يوم نذرت حياتى للمسرح، وأفنيتها قرباناً على خشبته لم أكن أتصور أبداً أن يشاركنى عادل.. بل يسبقنى إلى هذا المصير..!!

هوامش وتحقيقات

[١] قال نجيب الريحانى فى مذكراته عن بداية تعُرفه ببديع خيرى عندما حدث خلاف بينه وبين أمين صدقى على تعديل الأجر، بعد نجاح مسرحية «حمار وحلاوة» اضطر لأن يبحث عن شخص آخر يقوم بمهمة وضع الأزجال، فتقدم إليه البعض ومنهم، زميل قديم ممن كان يعمل معه فى البنك الزراعى هو المسيو (جورج. ش)، فقال له إنه يرغب فى وضع انشودة تلقيها طائفه من المرابين (الفايظجية) وهم ممن يعطون المال بالربا، وفى اليوم التالى حضر إليه جورج واطلعه على زجل ظريف أعجب الريحانى.

فالزجل كان عن المرابين وليس الأعجام، وحينا اكتشف الريحانى حقيقه الامر وعرف ان مؤلف الزجل هو بديع خيرى عندئذ طلب من بديع خيرى أن يكتب له زجلا عن طائفة أعجام وفدت لزيارة كشكش بك عمدة كفر البلاص، فكتب له الزجل المطلوب الذى مطلعه:

هاى هاى أعـــجـــام إخـــوانا

كـــفـــر البـــلاص قـــدامنا

وحين أعجب الريحانى بالزجل اتفق مع بديع خيرى على العمل المشترك [ص ٩٥ ـ ٩٧ مذكرات نجيب الريحانى ـ كتاب الهلال العدد ٩٩ ـ يونيه ١٩٥٩.]

[٢] نشر بديع خيرى كلمات زجله «سرجوا الصندوج يامهمد» فى مجلة «ألف صنف» التى كان يصدرها بنفسه، وقد قسّم هذا الزجل إلى رباعيات فى حدود أربعين بيتا.

[ارجع إلى حسن درويش فى كتاب «من أجل أبى سيد درويش» - ص١٠٧ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠].

[٣] ضمت الفرقة إلى جوار كل هؤلاء الذين ذكرهم بديع خيرى أيضاً استيفان روستى، ومحمود رضا، ومختار عثمان، وعباس فارس، وروز اليوسف، وبرلنتى حلمى.

[ارجع إلى مؤلفات محمد تيمور - الجزء الثالث - المسرح المصرى - ص ٢٣٤ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤].

[٤] أوبريت العشرة الطيبة التى اقتبسها محمد تيمور، ووضع أزجالها بديع خيرى أخرجها لأول مرة عزيز عيد، وعرضت فى مساء يوم الخميس ١١ مارس سنة ١٩٢٠ على مسرح كازينو دى بارى.

وبتاريخ ١٥ مارس ١٩٢٠ كتب المؤلف المسرحى إبراهيم رمزى مقالا بجريدة الأخبار هاجم فيه الأوبريت بدعوى أنها تقدم الولاة الذين حكموا مصر قبل عهد محمد على فى صورة مزرية، كإظهار نساء الولاة عاهرات، وإظهار الولاة فى صورة جبابرة طغاة.

غير أن محمد تيمور رد على إبراهيم رمزى بمقالة فى جريدة الأخبار نفسها بتاريخ ١٧ مارس ١٩٢٠ قال فيها:

«لم أقصد ياصديقى الفاضل أنا وبديع أفندى خيرى شريكى فى تأليف الرواية ونجيب أفندى الريحانى مدير الجوق وعزيز أفندى عيد المدير الفنى أن نسب المماليك والأتراك، أو أن نحط من شأنهم أو نظهرهم على المسرح فى صورة مخزية، بل كان قصدنا كل القصد هو ما أدرته أنت بنفسك فى رواية البدوية ورواية الحاكم،بأمر الله من تصوير الظلم وإظهار نتائجه على المسرح، وإنتصار الضعيف على الغاشم القوى».

وفى آخر حديث لبديع خيرى ـ قبل وفاته ـ قال فيه:

«طلبنا من المسئولين خاصة مرقص باشا حنا، وكان نقيبا للمحامين آنذاك أن يشاهدوا الأوبريت، وبالفعل شاهدوها، وفوجئنا بمرقص باشا حنا يقف فى البنوار ويلقى كلمة تأييد للأوبريت، ودفع للاتهام الباطل عن نجيب الريحانى والشيخ سيد درويش ومؤلف المسرحية.

[ص ٦٧ مجلة المسرح ـ عدد (٢٧) ـ مارس ١٩٦٦].

وبعد أن توقف عرض هذه الأوبريت أعاد سيد درويش تقديمها مرة أخرى باخراج جديد مع عمر وصفى.

فالمشكلة لم تكن فى النص بقدر ما كانت فى الاخراج المسرحى للأوبريت الذى وضعه عزيز عيد، حيث وضع المخرج مشهداً دخيلا من تأليفه بدون الرجوع إلى المؤلف أظهر فيه الوالى يطأ رءوس المصريين وهم خانعون خاضعون، مما جعل بعض المشاهدين يستاءون

من ذلك، ويوقفون العرض المسرحى، ويلقون الخطبة فى الجمهور لاستثارته ضد المؤلف [ص ٣٣٦ ـ من أجل سيد درويش]

وعلى الرغم من ذلك فقد شمل أوبريت العشرة الطيبة خمسة عشر زجلا من تأليف بديع خيرى، هى وفق ترتيبها فى المشاهد كالآتى:ـ

١ ـ واحدة اواه.

٢ ـ على قد الليل ما يطول.

٣ ـ يقطع فلان على علاّن.

٤ ـ الأمر أمر الأغاباشى.

٥ ـ والله طيب يازمان الخلطبيط.

٦ ـ آن الأوان ياحلوة آن.

٧ ـ ياللى تصلى على النبى تكسب.

٨ ـ ياحلالك يابلالك بيها.

٩ ـ علشان مانعلا ونعلا.

١٠ ـ هوه بعينه وبمناخيره.

١١ ـ يحميك يا شابة لشبابك.

١٢ ـ يا مرحبا بك يامرحبا بك.

١٣ ـ اتمخطرى ياعروسة.

١٤ ـ إحنا الغجر وانتوا الحكّام.

١٥ ـ الليلة ياما اكتر عرسانها.

[ص ١٥٢ من كتاب «سيد درويش ـ حياته وآثار عبقريته» للدكتور محمود الحفنى سلسلة إعلام العرب (١١٠) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٥].

[٥] يؤكد هذا الفصل ديانة بديع خيرى بأنه كان مسلماً. حيث يختلط الأمر على الكثيرين، ووصل هذا الخلط إلى أقرب المتصلين به، وربما يرجع هذا إلى ذلك الارتباط الوثيق بين بديع خيرى المسلم ونجيب الريحانى المسيحى الديانة.

ومن أقرب المقربين لبديع خيرى وكان يختلط عليه الأمر كذلك سيد درويش.

فعندما مات والد بديع خيرى، ووصل النبأ إلى سيد درويش تأثر الموسيقار الخالد، وأخذ يفكر فى مصيبة صديقه، وفى كيفية مواساته وتعزيته، وارتدى ملابسه فى الحال، وذهب إلى أول محل للأزهار صادفه، وأمر بصنع كرونة فخمة من الأزهار، وحملها فى عربة حنطور إلى أقرب كنيسة لدار بديع خيرى، ووقف ينتظر وصول الجنازة، ومضى وقت طويل، وأفاق سيد درويش من ذهوله، فإذا به يجد نفسه وحيداً إلى باب الكنيسة، ولا أثر للمشيعين أو لأقرباء المرحوم،

فسأل حارس الباب عن موعد وصول الجنازة؛ فأجابه الرجل:

ـ جنازة إيه؟!.. مفيش عندنا حاجة النهاردة..!!

وهرول سيد درويش والأزهار فى يده إلى بيت بديع خيرى؛ فوجد الجمع محتشداً، فصاح فى أول من قابله:

ـ جرى إيه؟.. مارحتوش الكنيسة ليه؟!

وهنا إرتجف المسئول، وهمس فى أذنه:

ـ كنيسة إيه؟!.. دول ناس مسلمين وموحدين بالله.. إيه الورد اللى معاك ده؟!.

وصمت سيد درويش، وعرف لأول مرة أن صديقه بديع خيرى ليس مسيحياً، بل هو مسلم، وذلك بعد أن عاشره، وزامله أكثر من خمس سنوات لم يفترقا فيها.

[ص ٤٢٤ كتاب «من أجل أبى سيد درويش» لمؤلفه حسن درويش].

(٦) تزوجت «إيناس حقى» من الفنان عادل خيرى فيما بعد، وأنجبا «عطية»، وهى مخرجة تليفزيون للأطفال للرسوم المتحركة، وأختها «عبلة»، وهى بطلة مصر السابقة فى السباحة، وعزة وهى طبيبة أطفال وتعمل الآن فى الخارج.

(٧) أولاد بديع خيرى هم: الفنان عادل خيرى، وهو غنى عن التعريف، ومبدع خيرى، الذى كان يعمل محاميا فى إدارة قضايا هيئة

السكك الحديدية، وقد توفى عام ١٩٨٩، وابنه الأخير هو نبيل خيرى، الذى تخرج فى معهد السينما، وعمل مخرجاً بالتليفزيون، وترك العمل التليفزيونى، واتجه إلى العمل فى المسرح كمشرف فنى لفرقة الريحانى.

• وثائق

سرجوا الصندوج يامهمد

المارى -

هبر اسود شنجي كربكري   زي البارود في وداني
مافيش هاجه اسمه مصري   ولا هاجه اسمه سوداني
نهر النيل راسه فى ناهيه   رجليه في الناهيه التاني
فوجانى يروهوا فى دهيه   اذا كان سيبوا التهتاني

اسود أبيض يابرامه   آبشين ويا بأضينا
يربرى فيه أندو كرامه   مصري طول أمره أهينا
اثنين جيران بلدنجي   زالهيطه جنب الهيطه
الناس دي بلاوي كالنجي   أبزين هلينا بشكانيطه

دي هنت نفت بلفه   لكن فبه ماسكاجينا
اهنا ولاد وادى هلفا   جينا في مصر اتربينا
اشرب بوظه اسبوتيري   لانهاف ابدا ولا نجرى
وحيات سيدي الانتيرى   اهنا بيكلم دوجرى

الشجل بتاعنا براوه   بواب فى بيت الباشا
يوم فاصوليا وبجلاوه   يوم ملوهيا وبوجاشا
ماهيش من تهويشه   اديه لولادي النونو
المصري بناكل ايشه   ازاى ياهواني نهونو

جياتنا الله أكبر   يابركات الادريسي
القفطان بحزام أحمر   والمركوب ساوكيسي
طباهين سفراجيه   على كيفك يادرنوري
أربيه وافرنجيه   أصنوري ياأصفوري

البيه والست مرانه   أنا هبيتهم زى ابى
من جير الكونتورانو   لا باسيبه ولا بيسيبني
يارب تهدى مره   دى الكلمه بتاعه مسوجر
بستجري هد بقره   والله نوديه طوكر

ياأوروبا هلبكي شاهده   عالبوليتيكا التزالي
الرايه بتاعنا واهده   لازم يستني عالي
جالت هلت أم أحمد   كمايه في متلايا
سرجوا الصندوج يامهمد   لكن مفتاهه معايا

دستور ياميرغني دنجي   دي كلامك واهد جلطه
هليك ويانا سودانجي   والا تدن فى مالطه
بردون ياهبيبنا ياسيدنا   يابلدينا يامولانا
ليه نهرب بيتنا بايدنا   ونهلي الناس زالانا

الدنيا دي كله فانى   من شنه وطنه ورنه
جير الفضل الرباني   مايدهلناش الجنه
دي مصيبه كبيره البنا   اذا كان مافيش موده
نور يارب اينبنا   واكفينا شر الشده

ماتفوتناش وهدبنا   ولا نفوتكوش وهدبكم
يامصريين دي ايدينا   يالله نهطها فى ايدبكم
وحيات ايمانكو ودينكم   مالى اجنبي له نايب
اهد الله بينا وبينكم   للفضل أهوان وهبايب

زجل «سرجوا الصندوج يا مهمد» نشره بديع خيرى فى مجلته (ألف صنف).

تأليف بديع خيري

تلحين المرحوم الشيخ سيد درويش

فوق يامصري مصر دايما بتناديك

خد بناصري نصري دين واجب عليك

رد مجدي قبل مايضيع من ايديك

اوعي سعدي يروح هدر قدام عينيك

شوف جدودك في قبورهم ليل نهار

من جمودك كل عضمة بتستجار

فين آثارك يالي ضيعت الآثار

خلفو لك مجد ما تخلفش علو

حب ارضك اتخلق في دمنا

واللى فرضك ينكره مش منا

تحت رايتك كل عريكون ذلال

نفني احنا قبل ما يفني الهلال

ليه يا مصري كل احوالك عجب

تشكي فقر ايه وانت ماشي فوق دهب

مصر جنه طول ما فيها انت يانيل

عمر ابنك لم يعيش ابداً ذليل

« ١٠٠٠ صنف » يزي الغرام في التذذ المقبل

النوتة الموسيقية لهذه الانشودة على البيانو

فوق يامصرى



كلمات أغنية «فوق يامصرى» التى نشرهـا بـديـع خـيرى فى مجلته (ألف صنف) فى العدد الرابع ، والنوتة الموسيقية فى العدد الخامس.

رواية

العشرة الطيبة

أوبرا بوف ذات أربعة فصول وثلاثة مناظر

كتبها — المرحوم محمد بك تيمور

وضع أزجالها — بديع افندي خيري

لحنها

الشيخ سيد درويش

(مثلتها لأول مرة فرقة الكازينو دي باريس بمسرحها)

تحت إشراف الاستاذ عزيز عيد مساء الخميس ١١ مارس سنة ١٩٢٠

أوبريت «العشـرة الطيبـة» التي وضع أزجالها بديع خيري.



نوتة موسيقية للحن المغاربة الذى ألف كلماته بديع خيرى.



نوتة موسيقية للحن بوخمار الذى ألف كلماته بديع خيرى.

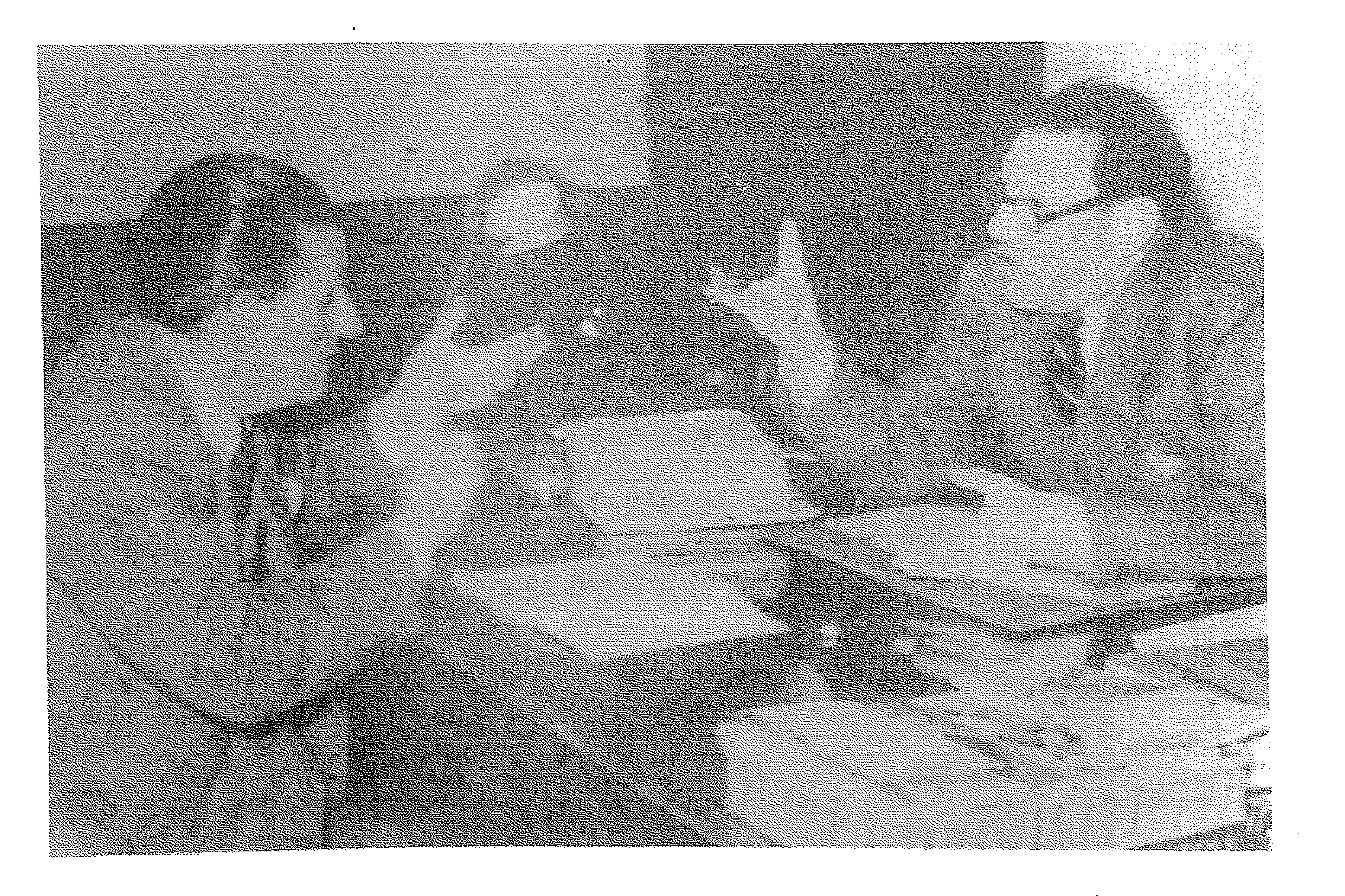
• صور



بديع خيرى



مشهد من مسرحية «فرانكو - آراب»



نجيب الريحاني وبديع خيرى



نجيب الريحانى



إعلان لرواية « حكم قراقوش »



ماری منیب

فرقة الريحانى

فهرس

• إبراهيم حلمى

- مقدم برامج بالتليفزيون المصرى ـ القناة الثالثة.
- عضو بالمجلس الأعلى للثقافة.
- حائز على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩١، ووسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٩١ .

• من مؤلفاته :

١ ـ كسوة الكعبة المشرّفة وفنون الحجّاج.

٢ ـ المحمل ـ رحلات شعبية فى وجدان أمة.

٣ ـ السير الشعبية ورؤى متقابلة مؤرقة فى المسرح العربى.

٤ ـ مذكرات بديع خيرى . (إعداد وتحقيق) .

٥ ـ مولد وصاحبه السيد البدوى . (تحت الطبع)

٦ ـ الأسبلة ـ إصبع اتهام ضد تجفيف التراث الإسلامى .. ! (تحت الطبع) .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/٣٨٤٥

J.S.B.N- 977 -235 - 545 - 0



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب